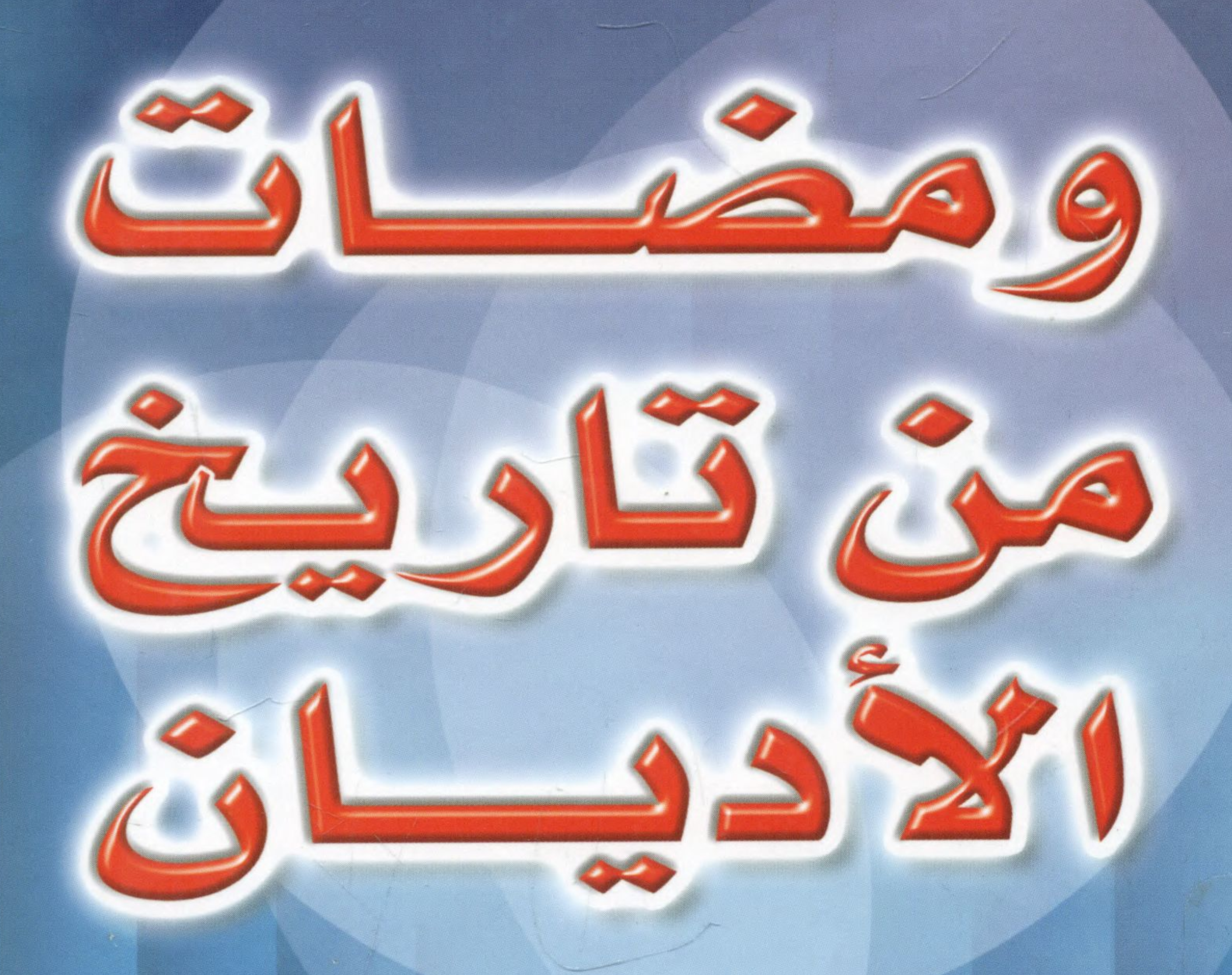
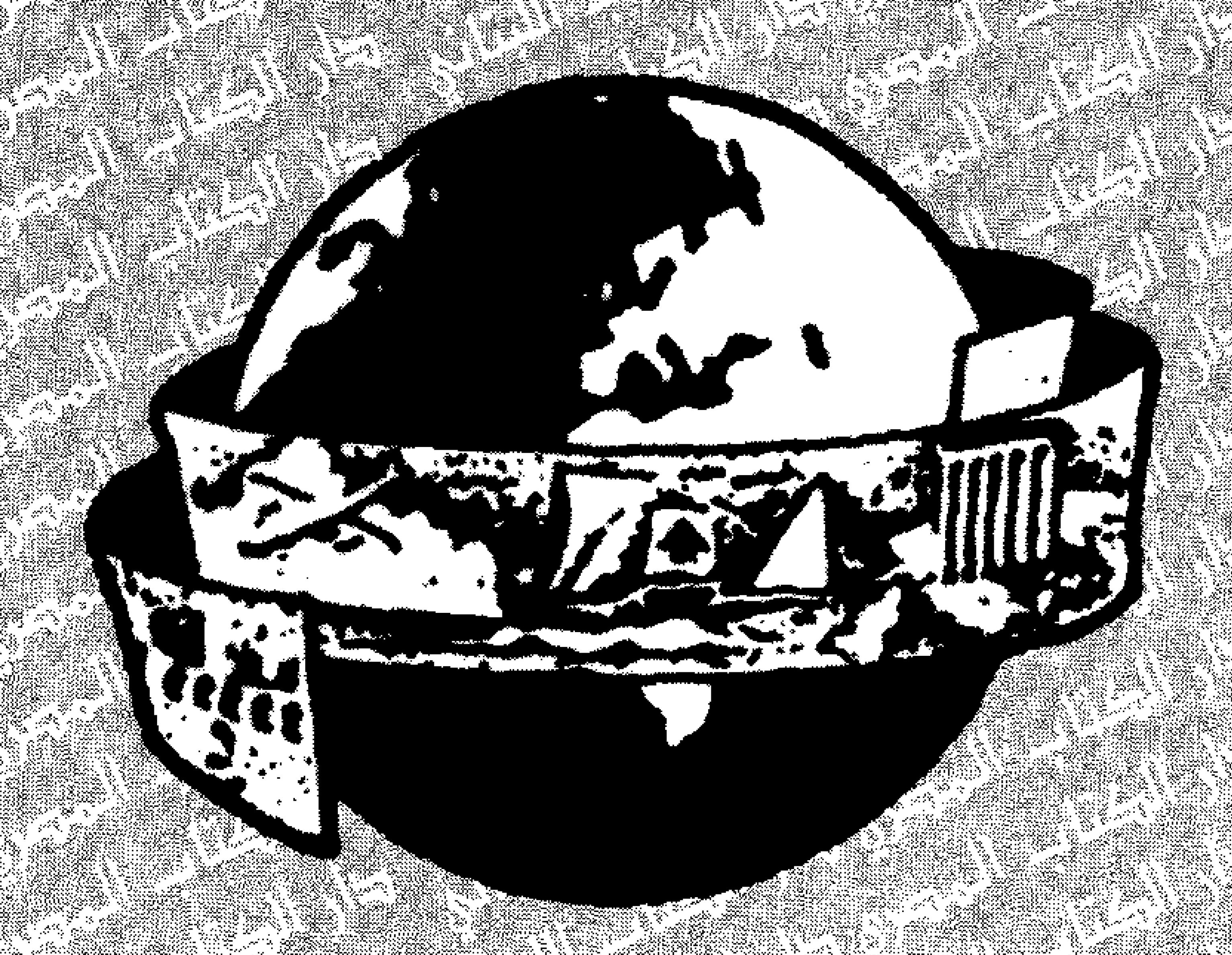
خليل إبراهيم ناصر



ومضات من تاريخ الأديان

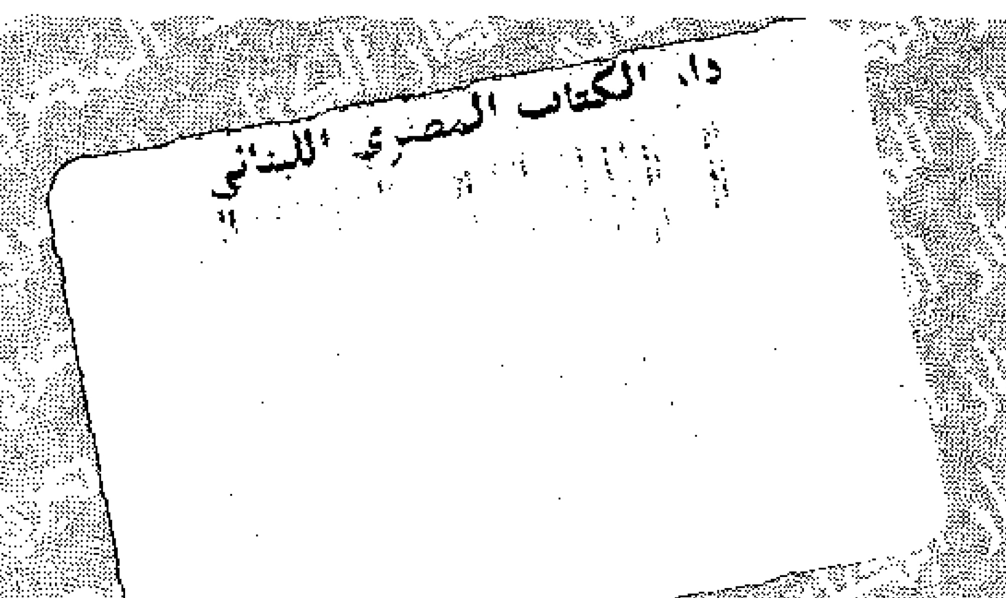
دار الكتاب المصري
القاهرة

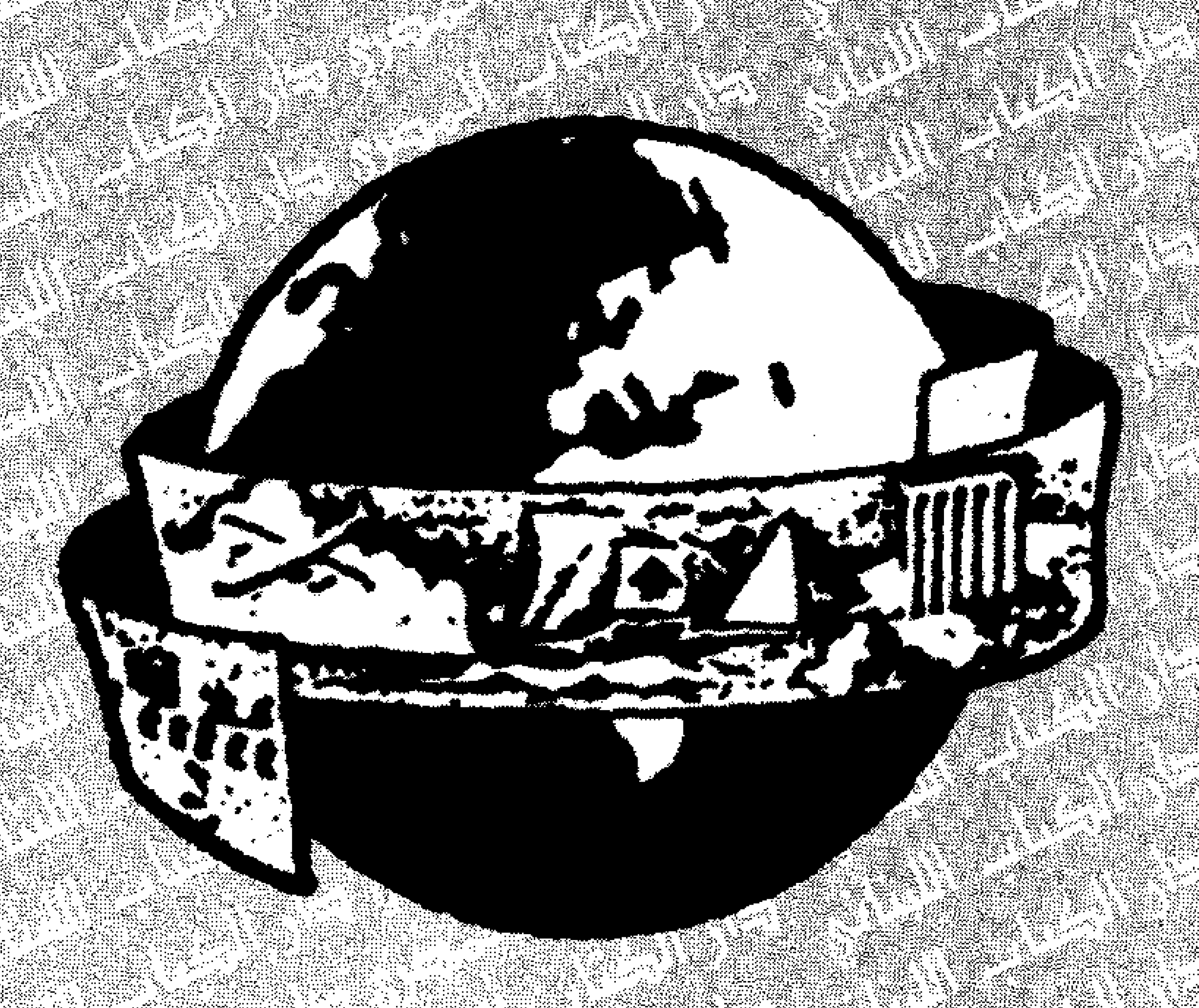
دار الكتاب اللبناني
بيروت



دار الكتاب المصري
القاهرة

٣٣ شارع قصر النيل - تلفون: ٢٣٩٢٢١٦٨/٢٣٩٣٤٣٠١/٢٣٩٢٤٦١٤ (٢٠٢+)
ص.ب.: ١٥٦ - عتبه - الرمز البريدي: ١١٥١١ القاهرة - ج.م.ع.
فاكسميلي: ٢٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢+)
FAX: (+202) 23924657 - ATT.: MR. HASSAN EL-ZEIN القاهرة





دار الكتاب اللبناني

بـــيروت

شــارع مـدام كـوري ـ مقـابـل فنـدق البريسـتول ـ بيروت
تلفون:٧٣٥٧٣٢ (٩٦١١+) ـ ص.ب.: ١١/٨٣٣٠
بيروت ـ لبـنان ـ فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١+)
FAX: (+9611) 351433-ATT.: MR. HASSAN EL-ZEIN بيروت

ومضات
من تاريخ الأديان

خليل إبراهيم ناصر

ومضات
من تاريخ الأديان

دار الكتاب المصرى
القاهرة

دار الكتاب اللبنانى
بيروت

I.S.B.N.
9953-483-66-3

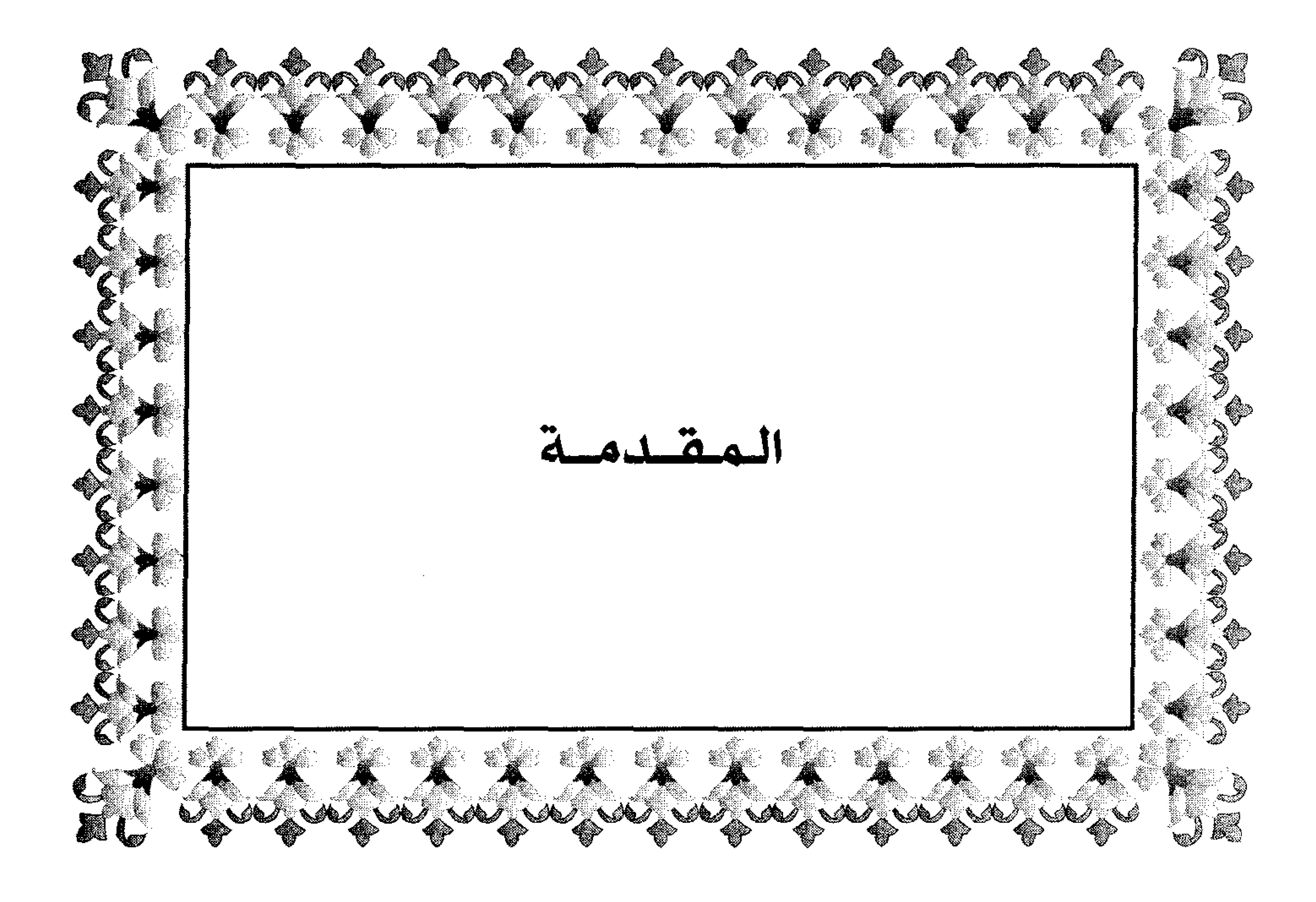
دار الكتاب المصري
القَاهِــرَة
٣٣ شارع قصر النيل
تليفون: ٢٣٩٢٢١٦٨/٢٣٩٣٤٣٠١/٢٣٩٢٤٦١٤(٢٠٢+)
ص.ب: ١٥٦ العتبة الرمز البريدي ١١٥١١ - القاهرة - ج.م.ع.
فاكسميلي ٢٣٩٢٤٦٥٧(٢٠٢+)
Fax: (+202) 23924657 القاهرة ATT: Mr. Hassan El-Zein

دار الكتاب اللبناني
بَيْــرُوت
شارع مدام كوري - تجاه فندق بريستول - بيروت
تليفون: ٧٣٥٧٣٢(٩٦١١+) - ص.ب.: ٨٣٣٠-١١
بيروت - لبنان - فاكسميلي ٣٥١٤٣٣(٩٦١١+)
Fax: (+9611) 351433 بيروت ATT: Mr. Hassan El-Zein

الطَّبعة الأولى
١٤٣١-١٤٣٢هـ - ٢٠٠٩-٢٠١٠م

First Edition
A.D. 2009-2010 - H. 1431-1432

Website: www.daralkitabalmasri.com
Email: info@daralkitabalmasri.com



المقدمة

ورد في القرآن الكريم، إن الله خاطب الملائكة: إني أريد أن أخلق خليفة لي على الأرض. إن الله العلي القدير خالق الأرض والسموات.. إله الكون.. يقول لملائكته بأن الإنسان هو خليفته على الأرض ومن هنا تبرز رسالة الإنسان العظيمة حسب الإسلام، فالإنسان يؤدي رسالة الله ويقوم بمهامه على الأرض ويتحمل المسؤولية؛ إنه يتصرف نيابة عن الله فهو ممثل الله وخليفته، ثم يخلق الله آدم من تراب حقير، إن الإنسان خُلِق من ﴿حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ أي من الطين المتعفن. هكذا نرى أن الله يخلق من الطين خليفته وممثله وحبيبه ثم ينفخ روحه في ذلك الوحل... فيكون الإنسان. ثم علَّم الله الإنسان جميع الأسماء، يقول الله في القرآن الكريم: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾. ويقول علمنا الإنسان ما لم يعلم. علم الله خليفته الأسماء وأصبح الإنسان عارفاً بها فاحتج الملائكة لأنهم خلقوا من مارج من نار بينما خلق الإنسان من الطين فكيف يفضله الله على الملائكة. ثم يأمرهم بالسجود لآدم. ذلك ذي البُعدين وهنا تبرز عظمة الإنسان في

الإسلام، فالملائكة خرّوا ساجدين لآدم الذي هو من طين رغم أفضلية عنصرهم فهم من نور وهو من طين.

عندما يعترضون يختبرهم الله فيسألهم عن الأسماء لكنهم لا يعلمونها بينما يعلمها آدم فيتم الاعتراف بأفضلية آدم، لمعرفته فهو يعرف أشياء لا تعرفها الملائكة.

إن الإسلام يبيّن لنا هنا مكانة الإنسان. فرغم أن الملائكة والشيطان من جنسٍ أفضل وطينة أرقى فإن الإنسان يبقى أفضل منهم، أي أن الأفضلية في المخلوقات تعتمد على العلم والمعرفة وليس على الجنس والعرق.

ثم إن الله حمَّل الإنسان أمانة عظيمة؛ أمانة تخشى عبئها السماوات والأرض. فقد عرض الأمانة على جميع الموجودات من جماد ونبات وحيوان وعلى الأرض والسماء والجبال والبحار فيرفضون جميعاً تحمَّل مسؤوليتها إلاّ الإنسان؛ أي أن الإنسان هو أكثر قدرة من كل تلك الموجودات فهو قد حمل أمانة الله ورسالته باعتباره خليفة له على الأرض.

يقول بعض المحللين إن هذه الأمانة التي حملها الإنسان هي قدرته على الاختيار هي إرادة الإنسان بالذات، هي حمله للمسؤولية هي تحمله لعبء الأمانة الإلهية، فهو الموجود الوحيد في الدنيا الذي يستطيع التصرُّف حتى خلافاً لغريزته الطبيعية ورغباته في حين نرى الحيوانات والنباتات محكومة بتصرَّف غريزي. أما الإنسان فهو قادر على السير خلافاً للحق والخير. قادر على التصرَّف وفق ما يمليه عليه عقله أو بعكسه، إنه كامل الحرية في أن يكون خيِّراً أو شريراً. أن يكون طينياً أو ربانياً فالإرادة والمسؤولية هي أهم ميزة في الإنسان.

إن الإنسان يقف في وسط المسافة بين الطين والله ممتلكاً الإرادة قادراً على اختيار قطب الطين أو قطب الله. إن هذه الإرادة ترتب على الإنسان

مسؤولية جسيمة. فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يُعتبر مسؤولاً عن مصيره وليس هذا فحسب بل إنه مسؤول عن أداء الرسالة الإلهية في العالم.

إن الله أعطى الإنسان القدرة والإرادة وعلمه الأسماء أي علمه الحقائق الأولى في العلم وعلى الإنسان أن يستجلي بقية الحقائق على مر العصور. لذلك نرى أن أول سورة أتى بها الوحي إلى الرسول الكريم محمد: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ (٣) ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

في بعض الأديان هنالك الله وهنالك الشيطان كلاهما موجودان في الطبيعة ويتصارعان. أما الإسلام فيعترف بقوة قادرة واحدة على الكون هي قدرة الله. ولكن الشيطان موجود داخل الإنسان. فالطبيعة والكون كله إنما يخضع لإرادة الله الواحد ثم إن الشيطان حسب الإسلام ـ لا يواجه الله ولا يتصارع معه وإنما يواجه الإنسان. إن الإنسان المخلوق من الطين ومن روح الله يظل متنازعاً بينهما ومرتبطاً بكليهما إنه بحاجة إلى الطين وبحاجة إلى الله. فالحياة التي يبنيها الإنسان يجب كلها أن تأخذ بعين الاعتبار حاجة الإنسان للطين ولله وضرورة العناية بتلبية تلك الحاجة المزدوجة. والتاريخ غالباً ما ينحرف عن خط التوازن ويتجه نحو أحد القطبين بشكل متطرف وأحادي الجانب فالمجتمعات إمّا سارت نحو الحياة الآخرة وشجعت الزهد والانزواء في هذه الدنيا وإمّا نزعت إلى قطب التراب وإلى الانغماس في الحياة الدنيا. وخير الأمور هو ما قاله الإمام علي: «إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً». فنظرة الإسلام للإنسان تقوم على اعتباره مخلوقاً ذا بُعدين كما أن دينه هو دين ذو بُعدين، يدعوه للنشاط والتأثير في الحياة العملية، كما يدعوه للسمو الروحي والخلقي لكي يبقى الإنسان محافظاً على توازنه واتزانه.

الإنسان هو حبيب الله والأمين على رسالته. إنه تعلّم على يديْ الله فسجدت له الملائكة. إن إنساناً ذا بُعدين وحاملاً لتلك المسؤوليات الجسام

يحتاج إلى دين يحفظ توازنه، دين لا يقوده إلى الآخرة المطلقة ولا إلى الدنيا المطلقة. إن المحافظة على مسيرة الإنسان المتوازنة وعلى اتزان سلوكه هي في الحياة شرط ضروري لكي يؤدي رسالته ويواجه المسؤوليات الملقاة على عاتقه.

في الأديان ما قبل الإبراهيمية كان الناس يعتقدون أنه يوجد في الطبيعة إلهين هما إله الخير وإله الشر يتصارعان في هذه الطبيعة، وفي الأديان الإبراهيمية صار هناك إله واحد هو الله وهناك الشيطان المسمى (التنين والوحش والأفعى والشيطان وإبليس).

الله يقود الناس إلى تبني ما يقول عنه الفلاسفة آراء أهل المعمورة الفاضلة والتنين يضلهم بتبني آراء أهل المعمورة الضالة والفاسقة والجاهلة.

فالله رسم لنا الطريق الصحيح لبلوغ السعادة الحقيقية والسعادة هي هدف ـ الإنسانية الأخير، ـ وإنها لا تتحقق إلا في اجتماع كامل فاضل أي بتعاون الناس باشتراكهم في حياة منظمة تنظيماً مثالياً. فالإجتماع الإنساني ضرورة طبيعية لأجل بلوغ الكمال الإنساني. فالدافع الأول إلى الإجتماع هو دافع غريزي طبيعي ينبثق من الحاجات المادية الملحة، ثم يتخطاها إلى الحاجات الإنسانية العالية وهي حاجات روحية وعقلية. والرباط الاجتماعي يقوم على التعاون الإرادي لأجل بلوغ الكمال الإنساني النهائي، وأما غاية الاجتماع فهي السعادة الحقيقية التي تحصل ببلوغ الكمال الحقيقي. فالمعمورة الفاضلة هي التي يُقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة للجميع.

أما الطريق الذي رسمه الشيطان أو التنين للناس فهو أن سُنَّة الطبيعة هي سُنَّة تنازع البقاء. فالتعاون ليس طبيعياً وكذلك الاجتماع. فالإنسان الأقهر لكل ما يناوئه هو الأسعد، وأن تبنّي نظريتيّ العصبية والتسلط هي التي توصل الإنسان إلى السعادة الحقيقية. ونظرية العصبية هي أن أصحاب هذه النظرية يرون أن التعاون الطبيعي لا يكون إلا بين ذوي القربى وأهل الأرحام. ولذلك قالوا إن الاجتماع الطبيعي هو الذي يقتصر على السُلالة الواحدة وكلما كانت درجة

القربى أوثق كان التعاون أشد إلى أن يبلغ من العموم والبعد إلى حيث ينقطع الارتباط أصلاً ويكون تنافراً.

أما نظرية التسلط فهي أنه يرى آخرون إن الحاجة إلى الاجتماع أمر طبيعي ولكنهم وضعوا أن ذلك لا يكون إلاَّ بالقهر أي أن يكون الذي يحتاج إلى مؤازرين يقهر قوماً فيستعبدهم ثم يقهر بهم آخرين فيستعبدهم أيضاً فإذا اجتمعوا له صيّرهم آلات يستعملهم في ما فيه هواه». فالذي يسعده هو قهره للآخرين. لاسيما إذا كان هذا القهر لمصلحة العصبية التي هو جزء منها عندما ندرس الأديان السماوية نرى أن الله لم يخلق الإنسان عبثاً بل أراد قيام نظام بشري وإرساء حياة إنسانية قائمة على العدل والقسط ولأجل إرساء هذا النظام البشري أرسل الرسل والأنبياء لإرشاد الناس وهدايتهم إلى الطريق المستقيم. ولإبلاغهم أن هناك بعث وثواب وعقاب وأن عليهم الالتزام بمشيئة الله.

عندما نتعمَّق بدراسة تاريخ هذه الأديان نجد أن هذه الرسالات من أجل خير الإنسان والإنسانية ومن أجل العدل والعدالة ورفع الجور والظلم عن الناس وإرساء السلام والأخوة والمحبة بين البشر ولأجل سعادة الناس كل الناس. ولكن نجد في كل من هذه الأديان السماوية وبعد فترة قصيرة من انطلاقها من ينقضها مستعملاً اسمها وذلك تارة بخمير الفريسيين وطوراً بخمير الجاهلية. وذلك لأنه في جيل واحد لا يمكن وقف مفعول هذا الخمير. فلكي تترسخ الهداية ويزول مفعول الخمير نحتاج إلى عدة أجيال لا لجيل واحد. والآن نترككم مع هذا البحث من كتابي هذا ـ من الذي يحمل سِمَة التنين ـ هل هو من يدعو إلى السلام والمحبة والعدل والعدالة والأخوة الإنسانية أم من يدعو إلى نزع السلام من الأرض وتلويث مياه البحار والأنهار وجعل الناس يقتلون بعضهم البعض وحرق الأشجار ونشر الأمراض واحتكار أسلحة الدمار الشامل لإبادة الأمم الذين عددهم أكثر من رمل البحر. من أجل إبقاء من يحملون سمة أبناء الله فقط الذين سينزلون الله عن السماء ليعيش بينهم وليكونوا له بنينا وبنات.



الله والكون والإنسان



الله والكون والإنسان

إن الأديان السماوية تؤمن بأن هناك إلّهاً واحداً هو مكوِّن الكون وخالق كل ما في هذا الكون ومن خلقه الإنسان الذي خلقه من تراب ونفخه من روحه وأعطاه الإرادة والعلم والقدرة المحدودة على الخلق والإبداع. ولكن هذه الإرادة والقدرة ليست مطلقة فالله لم يخلق الإنسان عبثاً بل أراد قيام نظام بشري وإرساء حياة إنسانية قائمة على أساس العدل والقسط. ولأجل إقامة هذا النظام البشري أرسل الله الرسل والأنبياء مع الرسالات الإلهية من أجل إقامة نظام يحقق الخير والسعادة للناس وللمجتمع الإنساني. وليبلغ الناس بأن هناك بعث وثواب وعقاب. وأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره. وأن الإرادة التي وهبها له الله معها التزام بالتقيُّد بالتعاليم الإلّهية التي حملها الأنبياء.

ما هو الله: يقول فيلسوف المسلمين: إن الله واجب الوجود لذاته وهو السبب الأول لوجود سائر الموجودات وهو المبدع لهذا الكون. وهو بريء من كل نقص ولا غاية له وهو عقل وعاقل ومعقول وهو قديم بالحقيقة أي أزلي،

ليس صورة ولا مادة واحد بذاته لا شبه له ولا ضدّ له ولا حدَّ له وهو مُدبِّر جميع العالم لا يعزب عنه مثقال حبة من خردل ولا يفوت غايته شيء من أجزاء العالم.

غير أن عدم وصف الله بصفات إيجابية لا يرجع إلى امتناع معرفته بذاته، بل إلى ضعف عقولنا وملابستها المادة. فالله بذاته في غاية المعقولية، كالشمس التي هي بذاتها في غاية النورانية، ولكننا لا نستطيع أن نحدِّق فيها لضعف أبصارنا. وهذا الوصف لله من فيلسوف المسلمين الفارابي هو شرح وتفسير لآية الكرسي ـ من القرآن الكريم.

والله أرسل الأنبياء لهداية الناس ولإقامة نظام عادل يقود الناس لبلوغ السعادة المطلقة. فالغاية من إرسال الرسل هو لمنفعة الناس كل الناس لأنه كما يقول الإمام عليّ بن أبي طالب: «أمّا بعد فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم لأنه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه».

وأمّا الله في سفر الرؤيا الملحق بالأناجيل فهو الإصحاح الرابع: بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح في السماء والصوت الأول الذي سمعته كبوق يتكلم معي قائلاً اصعد إلى هنا فأريك ما لا بد أن يصير بعد هذا وللوقت صعدت في الروح وإذا عرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس. وكان الجالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش في المنظر شبه الزمرد. وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً ورأيت على العروش أربعة وعشرين شيخاً جالسين متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب ومن العرش يخرج بروق ورعود وأصوات وأمام العرش سبعة مصابيح نار متقدة هي سبعة أرواح الله. وقدّام العرش بحر زجاج شبه البلور وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات مملوءة عيوناً من قدام ومن وراء. والحيوان الأوَّل شبه أسد والحيوان الثاني شبه عجل والحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان. والحيوان الرابع شبه نسر طائر. والأربعة الحيوانات لكل واحد منها ستة أجنحة حولها

ومن داخل مملوءة عيوناً ولا تزال نهاراً وليلاً قائلة قدوس قدوس قدوس الرب الإلّه القادر على كل شيء الذي كان والكائن والذي يأتي وحينما تعطي الحيوانات مجداً وكرامة وشكرا للجالس على العرش الحيّ إلى أبد الآبدين. يخر الأربعة والعشرون شيخاً قدام الجالس على العرش ويسجدون للحيّ إلى أبد الآبدين ويطرحون أكاليلهم أمام العرش قائلين. أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهي بإرادتك كائنة وباقيه.



إبراهيم الخليل أبو الأنبياء



إبراهيم الخليل أبو الأنبياء

رأى إبراهيم الخليل قومه يصنعون الأصنام ويعبدونها فلم يقتنع بذلك فصار يفتش عن الله بعقله فتارة قال إنه القمر وتارة أخرى إنه الشمس وعندما غابت لم يقتنع أن تكون هي وبعد تفكير وجد أن الله هو القدرة التي خلقت هذا الكون وكل ما في هذا الكون وأن هذه القدرة الخالقة والمبدعة هي الله وهي واجبة الوجود.

والآن علينا أن نلقي نظرة على شذرات مما جاء في الكتب المقدسة وتاريخ الأنبياء والرسل وأعمالهم ورسائلهم وأعمال الخلفاء والأئمة والسلاطين.

النبي موسى وما جاء في التوراة:

رسالة نبي الله موسى هي ما أوحيَ إليه وأهمها الوصايا العشر: لا تعبدوا إلاّ الله ـ أكرم أباك وأمك ـ لا تقتل ـ لا تسرق ـ لا تزن ـ لا تشهد بالزور ـ عامل قريبك كنفسك ـ لا تكذب ـ وفي التوراة أيضاً ـ إن الله خالق السموات والأرض رب الوجود، الإلّه الأوحد العظيم الجبَّار، إلّه رحيم ورؤوف، وكثير

الإحسان والوفاء، غافر الإثم والمعصية والخطيئة. وفي التوراة بعض الوصايا الأخلاقية التي هي من مشيئة الله. كالإحسان إلى المسكين والغريب واحترام الشيخ الكبير وعدم الإساءَة إلى الأصم والأعمى ولا تسرقوا ولا تكذبوا ولا تغدروا ولا تحلفوا باسمي بالكذب ولا تُبت أجرة أجير عندك إلى الغد ولا ترتكبوا جَوْراً في الفضاء ولا تَسْعَ في الوشاية ولا تبغض أخاك في قلبك، لا تنتقم ولا تحقد وإذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم وتحبه كنفسك. وإن الله هو الخالق الحيّ والمحيي والعليم القدير والإلّه الأزلي وإنه مبارك يدين بالحق والعدل واللطيف الحليم وليس عند الله محاباة لأن الله واحد. بالعمق غنى الله وحكمته وعلمه منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد.

والنبي موسى عندما كان في مِدْيَن التي عاش فيها سنوات معزّزاً مكرماً. أتاه الأمر الإلهي ليذهب إلى فرعون ليخرج بني يعقوب وسائر المستعبدين والمضطهدين من مصر. ولا سيما بقايا الهكسوس الذين بقوا مستعبدين في مصر. نريد أن نعلم هل كل ما هو مكتوب في التوراة وحيٌ إلهي أم أنه فيه الكثير من خمير الضلالة. فمثلاً هل يمكن أن يكون النبي موسى الذي نزلت عليه الوصايا العشر ومنها لا تقتل لا تسرق لا تزن لا تكذب ـ أن يسخط على وكلاء الجيش لأنهم سبوا الأطفال والنساء. ولم يقتلوهم وأمرهم فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً وطلب منهم أن يبقوا فقط الأطفال الإناث العذارى. لماذا فهل هذا الطلب تنفيذاً لمشيئة الله ـ لا تقتل لا تسرق لا تزن ـ وهل ما جاء بالأسفار التي تحِثُّ على معاكسة مشيئة الله والأمر بالقتل والسرقة والزنا هو الكتاب المقدس توراة موسى الحقيقية. وهل ما تدعيه هذه الأسفار من إساءات إلى الأنبياء ووصفهم بأنهم زناة وأولاد زنا ولصوص ومجرمين وسارقين حتى من الله. وتشويههم صورة الأنبياء من آدم إلى نوح وإبراهيم ولوط ويعقوب وداود وسليمان وحتى المسيح.

هل هذه التوراة وأسفارها والتي فُقدت لمدة سبعماية سنة ـ قبل السبي، ثمّ ظهرت على يد عزرا الكاهن والكاتب الذي كتبها متأثراً بالكهانة البابلية، زاعماً إنها توراة موسى وفرضها على أَتباع الرسالة الموسوية بعد السبي بقوة السلطة التي عاد معها وهل ناموس موسى المكتوب في هذه التوراة والمنسوخ عن شريعة حمورابي هو فِعلاً ناموس موسى المنزَّل من الله. وهل نبيّ الله موسى العطوف الرحيم والذي جعلوه في كتابهم وحشاً بشرياً يبيد الناس ويقتلهم من أجل القتل والسرقة. وأما النبي والملك داوود الذي يقول: ما الذي يصنعه بي البشر اليوم كله يحرّفون كلامي عليّ كل أفكارهم بالشر، خلّصني يا الله، أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب. وبعد وفاته شوّهوا صورته بجعله مجرماً ووحشاً بشرياً بالقول أنه أخرج الشعب الذي فيها «مدينة رِبَة» ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأَمَرَّهم في أتون الآجر وعمل ذلك لجميع مدن بني عمون ـ وجعلوه زانياً وابنه سليمان ابن زنا من زنا أبيه بزوجة أوريا الحثي.

أما سليمان فقد جعلوه ابن زنا ـ وأمالت نساؤه «الألف» قلبه وراء آلِهة أخرى عشتروت إلهة الصيدونيين وملكوم رِجْسَ العمونيين وبنى سليمان مرتفعة لكموش رِجسَ الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولمولك رجس بني عمون وجعلوه كافراً بالله وقاتلاً لأخيه.

هل كل هذا الذي قالته هذه التوراة عن أفعال أنبياء الله هو حقيقة. لا سيما أن التوراة الحقيقية فقدت لمدة سبعماية سنة مع أن هذا الشعب قد نقض رسالة موسى التوحيدية عندما ذهب موسى لمناجاة ربه لفترة أربعين يوماً فقط وعاد لعبادة الأصنام..

ومن أقوال النبي داوود أيضاً: افتحوا لي أبواب البر أدخل فيها وأحمد الرب، هذا الباب للرب، الصديقون يدخلون فيه ـ الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية من قِبَل الرب، مبارك الآتي باسم الرب.

وأمّا سفر أشعي اصحاح ٤٢ فيقول: «هوذا عبدي الذي أعضده مختاري سرَّت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمع في الشارع صوته ـ إلى الأمانة يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته ـ أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها، لترفع البريّة ومدنها صوتها التي سكنها ڤيدار «ابن اسماعيل». اجعل الظلمة عليهم نوراً والمعوّجات مستقيمة ـ يعظم الشريعة ويكرمها.

وفي التوراة أن ابن داوود. اغتصب أخته غير الشقيقة فشكت إلى شقيقها وإلى أباها داوود وعندما لم يهتم داوود بذلك ألَّب شقيقها الناس على أباه ووقعت الحرب بينهما فقتل ثلاثة وعشرون ألفاً من بني إسرائيل.

ثم أرسل الله رسوله الكريم عيسى بن مريم الناصري ليمسح الضلال عن خراف بيت اسرائيل الضالَّة. وسنسرد شذرات مما جاء في الأناجيل.

إنجيل متى ـ الإصحاح الخامس عشر.

ثمَّ خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيداء وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة إرحمني يا سيّد يا ابن داوود ابنتي مجنونة جداً. فلم يجبها بكلمة. فتقدَّم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين إصرفها لأنها تصيح وراءنا. فأجاب وقال لم أُرسَل إلاَّ إلى خراف بيت اسرائيل الضالَّة. فأتت وسجدت له قائلة يا سيّد أعني... فأجاب: وقال ليس حسناً أن يُؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب. فقالت نعم يا سيّد والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها. حينئذٍ أجاب يسوع وقال يا امرأة عظيم إيمانك. ليكن لك كما تريدين. فشفيت ابنتها من تلك الساعة.

إنجيل متى ـ الإصحاح العاشر ـ.

هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أُمم لا

تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل إذهبوا بالحريّ إلى خراف بيت اسرائيل الضالّة. وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات.

في الإصحاح التاسع عشر: وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية فقال له لماذا تدعوني صالحاً. ليس أحد صالحاً إلاَّ واحد وهو الله. ولكن إن أردت أن تدخل الحياة الأبدية فاحفظ الوصايا. قال له أيَّة الوصايا. فقال له يسوع لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد بالزور أكرم أباك وأمَّك وأحب قريبك كنفسك. قال له الشاب هذه كلها حفظتها منذ حداثتي فما يعُوزني بعد. قال له يسوع أن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء. فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني. فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزيناً لأنه ذا أموال كثيرة.

فقال يسوع لتلاميذه الحق أقول لكم إنه يَعسر أن يدخل غنيٌّ إلى ملكوت السموات وأقول لكم أيضاً إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنيٌّ إلى ملكوت الله. فلما سمع تلاميذه بُهتوا جداً قائلين. إذاً من يستطيع أن يخلص؟ فنظر إليهم يسوع وقال لهم هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شيء مستطاع. فأجاب بطرس حينئذ وقال له: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا؟ فقال لهم يسوع: الحق أقول لكن إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسيّ مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط اسرائيل الإثني عشر. إلخ.

في الإصحاح العاشر من إنجيل لوقا:

وإذا ناموسِي قام يجربه قائلاً: يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية. فقال له ما هو مكتوب في الناموس. كيف تُقرأ. فأجاب: وقال تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك. فقال له بالصواب أجبت إفعل هذا فتحيا وأما هو فإذا أراد أن يبرّر نفسه

قال ليسوع ومن هو قريبيّ فأجاب يسوع: وقال إنسان كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعرّوه وجرّحوه ومضوا وتركوه بين حيّ وميّت.

فعرض أن (كاهناً) نزل في تلك الطريق فرآه وجاز مقابله وكذلك (لاوي) أيضاً إذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله، ولكن (سامرياً) مسافراً جاء إليه ولما رآه تحنن فتقدم وضمد جراحاته وصبّ عليها زيتاً وخمراً وأركبه على دابته وأتى به إلى فندق وأعتنى به وفي الغد لما مضى أخرج دينارَين وأعطاهما لصاحب الفندق وقال إعتني به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعي أوفيك. فأي هؤلاء الثلاثة ترى صار قريباً للذي وقع بين اللصوص. فقال الذي صنع معه الرحمة. فقال له يسوع إذهب أنت أيضاً واصنع هكذا.

إنجيل مرقس الإصحاح الثاني عشر:

وابتدأ يقول لهم «رؤساء الكهنة والفريسيين والشيوخ» بأمثال: إنسان غرس كرماً وأحاطه بسياج وحفر حوْضَ معصرة وبنى برجاً وسلمه إلى كرّامين وسافر ثم أرسل إلى الكرامين في الوقت المناسب عبداً ليأخذ من الكرامين من تمر الكرم. فأخذوه وجلدوه وأرسلوه فارغاً ثمّ أرسل إليهم أيضاً عبداً آخر فرجموه وشجّوه وارسلوه مهاناً ثمَّ أرسل أيضاً آخر فقتلوه ثمَّ آخرين كثيرين فجلدوا منهم بعضاً وقتلوا بعضا. وكان له أيضاً ابن واحد حبيب إليه أرسله أيضاً إليهم أخيراً قائلاً إنهم يهابون ابني ولكن أولئك الكرامين قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله فيكون لنا الميراث فأخذوه وقتلوه وأخرجوه خارج الكرم.

فماذا يفعل صاحب الكرم: يأتي ويهلك الكرامين ويعطي الكرم إلى آخرين. أما قرأتم هذا المكتوب، الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية من قِبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا فطلبوا أن يمسكوه ولكنهم خافوا من الجمع. لأنهم عرفوا أنه قال المثل عليهم فتركوه ومضوا ـ فقالوا له أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً رديئاً ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها لذلك أقول لكم: إن ملكوت الرب يُنزع منكم ويُعطى لأمة

تستحق أثماره (ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه).

ولما جاء تلاميذه إلى العِبَر نسوا أن يأخذوا خبزاً وقال لهم يسوع انظروا وتحرّزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين ففكروا في أنفسهم قائلين: إننا لم نأخذ خبزاً، فعلم يسوع وقال لهم لماذا تفكرون في أنفسكم يا قليلي الإيمان أنكم لم تأخذوا خبزاً. أحتى الآن لا تفهمون أني لا أقصد الخبز قلت لكم أن تتحرَّزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين حينئذ فهموا أنه لم يقل أن يتحرزوا من خمير الخبز بل من تعليم الفريسيين والصدوقيين.

إنجيل متى الإصحاح الثالث والعشرون:

حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس ويقولون لهم سيدي سيدي. وأما أنتم فلا تدعوا سيدي لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً إخوة ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات. فمن يرفع نفسه يتّضع ومن يضع نفسه يرتفع.

ولكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات أمام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون. ويل لكم لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولوا لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء وأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء.

أيها الحيَّات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم.

يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً.

الإصحاح الرابع والعشرون:

ثمَّ خرج يسوع ومضى عن الهيكل فتقدم تلاميذه لكي يُروه أبنية الهيكل. فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إنه لا يُترك ههنا حجر على حجرٍ إلا وينقض. وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين: قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر.

فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدَّس ليفهم القارَئ. فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال والذي على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئاً والذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه. وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام. وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كبير. وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلاَّ أبي وحده.

الإصحاح السابع من إنجيل متى:

ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات، كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا الشياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة. فحينئذ أصرِّح لهم إني لم أعرفكم قط؛ اذهبوا عني يافاعلي الإثم.

وفي إنجيل لوقا الإصحاح ـ ٢١ ـ.

ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها، حينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال والذين في وسطها فليفرُّوا خارجاً والذين في الكور فلا يدخلوها لأن هذه أيام إنتقام وويل للحبالى والمرضعات في

تلك الأيام لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب ويقعون في فم السيف ويُسبوْنَ إلى جميع الأمم.

وفي الإصحاح الخامس والعشرين متّى:

ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسيّ مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميّز بعضهم من بعض كما يميّز الراعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه و الجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رِثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم لأني جعت فأطعمتموني عطشت فسقيتموني كنت غريباً فآويتموني عرياناً فكسوتموني مريضاً فزرتموني محبوساً فأتيتم إليّ، فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين يا رب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشاناً فسقيناك ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عرياناً فكسوناك ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك. فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم إنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم. ثمَّ يقول أيضاً للذين عن اليسار إذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته لأني جعت فلم تطعموني عطشت فلم تسقوني كنت غريباً فلم تأووني عرياناً فلم تكسوني مريضاً ومحبوساً فلم تزوروني، حينئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين: يا رب متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو محبوساً أو مريضاً ولم نخدمك فيجيبهم قائلاً الحق أقول لكم إنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا. فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية.

أعمال شاوول ـ بولس ورسائله:

الإصحاح التاسع:

أمّا شاوول فكان لم يزل ينفث تهدُّداً، ويجول على تلاميذ الرب. فتقدّم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد

أناساً من الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم موثّقين إلى أورشليم. وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاول شاول لماذا تضطهدني. فقال من أنت يا سيد. فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده. فقال وهو مرتعد ومتحيّر يا رب ماذا تريد أن أفعل فقال له الرب قم وادخل المدينة فيُقال لك ماذا ينبغي أن تفعل. فنهض شاوول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان قد مضى عليه ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب.

وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا. فقال له الرب في الرؤيا يا حنانيا فقال: هأنذا يا رب، فقال له الرب: قم واذهب إلى الزقاق الذي يقال له (المستقيم) واطلب في بيت يهوذا رجلاً طرسوسياً اسمه شاول. لأنه هوذا يصلي وقد رأى في رؤيا رجلاً اسمه حنانيا داخلاً وواضعاً يده عليه لكي يبصر. فأجاب حنانيا يا رب قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل كم من الشرور فعل بقديسيك في أورشليم. وههنا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة أن يوثق جميع الذين يدعون باسمك. فقال له الرب: اذهب لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل. وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياماً وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله. فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا أليس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم. وقد جاء إلى هنا لهذا ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة. وأما شاول فكان يزداد قوّة. ويحيّر اليهود الساكنين في دمشق محققاً أن هذا هو المسيح.

الإصحاح الثاني والعشرون:

فقال بولس أنا رجل يهودي طرسوسي من أهل مدينة غير دنية من كيليكية والتمس منك أن تأذن لي أن أكلم الشعب فلما أذن له وقف بولس على الدرج وأشار بيده إلى الشعب فصار سكوت عظيم فنادى باللغة العبرانية قائلاً: أيها الرجال الإخوة والآباء اسمعوا احتجاجي الآن لديكم فلما سمعوا أنه ينادي لهم

باللغة العبرانية أعطوا سكوتاً فقال: أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدَّباً عند رجلَيّ غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي وكنت غيوراً لله كما أنتم جميعكم اليوم. واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيّداً ومسلماً إلى السجون رجالاً ونساءً. وحدث لي بعد أن رجعت إلى أورشليم وكنت أَصلي في الهيكل أني حصلت لي غيبة رأيته قائلاً لي أسرع وأخرج عاجلاً من أورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عني. فقلت يا رب هم يعلمون أني كنت أحبس وأضرب في كل مجمع الذين يؤمنون بك وحين سُفِكَ دم استفانوس شهيدك كنت أنا واقفاً وراضياً بقتله وحافظاً ثياب الذين قتلوه فقال لي: إذهب فإني سأرسلك إلى الأمم بعيداً.

في الإصحاح الثالث عشر إلى أهل رومية:

لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة. لأنه ليس سلطان إلاّ من الله والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله. حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة. فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً.

في الإصحاح الخامس عشر:

وليعظكم إله الصبر والتعزية أن تهتموا اهتماماً واحداً فيما بينكم بتحبب المسيح يسوع لكي تمجدوا الله أبا ربنا يسوع المسيح بنفس واحدة وفم واحد. لذلك اقبلوا بعضكم بعضاً كما أن المسيح أيضاً قبلنا لمجد الله وأقول أن يسوع المسيح قد صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء. وأما الأمم فمَجّدوا الله من أجل الرحمة كما هو مكتوب من أجل ذلك سأحمدك في الأمم وارتل لإسمك ويقول أيضاً تهللوا أيها الأمم مع شعبه. فلي افتخار في المسيح يسوع من جهة مالله. لأني لا أجسر أن أتكلم عن شيء ما لم يفعله المسيح بواسطتي لأجل إطاعة الأمم بالقول والفعل. بقوة آيات وعجائب وبقوة روح الله. حتى أني من أورشليم وما حولها إلى البر يكون قد أكملت التبشير

بإنجيل المسيح. ولكن كنت محترصاً أن أبشر هكذا ليس حيث المسيح لألاَّ أبني على أساس لآخر. بل كما هو مكتوب الذين لم يخبروا به سيبصرون والذين لم يسمعوا به سيفهمون. وأما الآن فإذ ليس لي مكان بعد في هذه الأقاليم ولي اشتياق إلى المجيء إليكم منذ سنين كثيرة فعندما أذهب إلى اسبانيا آتي إليكم. لأني أرجو أن أراكم في مروري وتشيعوني إلى هناك.

ولكن الآن أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين. لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين الذين في أورشليم. استحسنوا ذلك وأنهم لهم مدينون لأنه إن كان الأمم قد اشتركوا في روحياتهم يجب عليهم أن يخدموهم في الجسديات أيضاً. فمتى أكملت ذلك وختمت لهم هذا الثمر فسأمضي ماراً بكم إلى اسبانيا فأطلب منكم أيها الإخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معي في الصلوات من أجلي إلى الله. ولكي تكون خدمتي لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين. إله السلام معكم أجمعين آمين.

رسالة بولس إلى أهل غلاطية ـ الإصحاح الثاني:

إذ رأوا أؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان. فإن الذي عُمل في بطر س لرسالة الختان عَمل فتيٌّ أيضاً للأمم. أعطوني أنا و(برنابا) يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم يعقوب وصفاً ويوحنا وبطرس فللختان. ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاوَمتُهُ مواجهة لأنه كان ملوماً. لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن لما أتوا كان يؤخّر ويُفْرِز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان. ورأى معه باقي اليهود أيضاً حتى أن بَرنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون حَسَبَ حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع إن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً لا يهودياً فلماذا تلزم الأمم أن يتهوّدوا. نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة.

رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى: من الإصحاح السادس عشر:

وأما من جهة الجمع لأجل القديسيين كما أوصيت كنائس غلاطية هكذا افعلوا أنتم أيضاً. في كل أسبوع ليضع كل واحدمنكم عنده خازناً ما تيسَّر حتى إذا جئت لا يكون جمع حينئذ. ومتى حضرت فالذين تسْتحْسنوهم أرسلوهم برسائل ليحملوا إحسانكم إلى أورشليم. وإن كان يستحق أن أذهب أنا أيضاً فسيذهبون معي.

رسالة بوليس ـ غلاطية ـ الإصحاح الرابع:

قولوا لي أنتم الذين تريدون أن تكونوا تحت الناموس ألستم تسمعون الناموس فإنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان واحدٌ من الجارية والآخر من الحرَّة. وأمَّا نحن أيها الإخوة فنظير اسحق أولاد الموعد. لكن ماذا يقول الكتاب، اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة إذن أيها الإخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرّة.

الإصحاح العاشر رومية:

ثم أشعيا يتجاسر ويقول وُجدت من الذين لم يطلبوني وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عني. أما من جهة إسرائيل فيقول طول النهار بسطت يَدَيَّ إلى شعب معاند ومقاوم. فأقول ألعلّ الله رفض شعبه. حاشا لأني أنا أيضاً اسرائيلي من نسل إبراهيم من سبط بنيامين. لم يرفض الله شعبه الذي سبق فعرفه أم لستم تعلمون ماذا يقول الكتاب في إيليا كيف يتوسَّل إلى الله ضدّ إسرائيل قائلاً يا رب قتلوا أنبيائك وهدموا مذابحك وبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي. لكن ماذا يقول الوحي. أبقيت لنفسي سبعة آلاف رجل لم يحنو ركبة لِبَعْل.

تسالونيكي الثانية الإصحاح الثاني:

لأن سر الإثم الآن يعمل فقط إلى أن يُرفع من الوسط الذي يحجز الآن. وحينئذ سيستعلن الأثيم الذي الرب يبيده بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه. الذي

مجيئه يعمل الشيطان له بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الإثم في الهالكين لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدّقوا الكذب لكي يدان جميع الذين لم يصدّقوا الحق بل سُرّوا بالإثم.

غلاطية: الإصحاح الثالث: المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من عُلّق على خشبة. لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح.

فيليبي الثالث:

فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء.

تسالونيكي الرابع:

لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه. فإننا نقول هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين. لأن الرب نفسه يهتف بصوت رئيس الملائكة، وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثمَّ نجهز الأحياء الباقين سنُخْطَفْ جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب لذلك عزّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام.

فيليبي:

لأننا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح ونفتخر في المسيح يسوع ولا نتكل على الجسد. مع أن لي أن أتكل على الجسد أيضاً. إن ظن أحد آخر أن يتكل على الجسد فأنا بالأولى. من جهة الختان مختون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل من سبط بنيامين عبراني من العبرانيين. من جهة الناموس فريسي

من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة. من جهة ـ البر الذي في الناموس بلا لوم.

إلى أهل كورنثوس ٦ و٧:

فإنكم أنتم هيكل الله الحي كما قال الله إني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلّهاً وهم يكونون لي شعباً وأكون لكم أباً وأنتم تكونون بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء.

كورنثوس ـ التاسع:

فإني إذا كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين. فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس مع أني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس المسيح لأربح الذين بلا ناموس صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال. وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه.

سفر الرؤيا الإصحاح الرابع

بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح في السماء والصوت الأول الذي سمعته كبوق يتكلم. معي قائلاً أصعد إلى هنا فأريك ما لا بُدَّ أن يصير بعد هذا. وللوقت صرت في الروح وإذا عرش موضوع في السماء، وعلى العرش جالس. وكان الجالس في المنظر شبه اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش في المنظر شبه الزمرد. وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً. ورأيت على العروش أربعة وعشرون شيخاً جالسين متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب. ومن العرش يخرج بروق ورعود وأصوات. وأمام العرش سبعة مصابيح نار متقدة هي سبعة أرواح الله.

وحول العرش أربعة حيوانات مملوءة عيوناً من قدّام ومن وراء. والأربعة الحيوانات لكل واحد منها ستة أجنحة حولها ومن داخل مملوءة عيونا من قدّام

ومن وراء. والأربعة الحيوانات لكل واحد منها ستة أجنحة حولها ومن داخل مملوءة عيوناً ولا تزال نهاراً وليلاً قائلة: قدوس قدوس قدوس الرب الإلّه القادر على كل شيء الذي كان والكائن والذي يأتي. يخر الأربعة والعشرون شيخاً قدام الجالس على العرش ويسجدون للحيّ إلى أبد الآبدين. ويطرحون أكاليلهم أمام العرش قائلين أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهي بإرادتك كائنة وخلقت.

ورأيت على يمين الجالس على العرش سفراً مكتوباً من داخل ومن وراء مختوماً سبعة ختوم. ورأيت ملاكاً قوياً ينادي بصوت عظيم من هو مستحق أن يفتح السفر ويفك ختومه. فقال لي أحد الشيوخ. هو ذا قد غلب الأسد الذي من سبط يهوذا أصل داوود ليفتح السفر ويفك ختومه السبعة... ولما فتح الختم الثاني سمعت الحيوان الثاني قائلاً هلمّ وانظر. فخرج فرس آخر أحمر والجالس عليه أُعطيَ أن ينزع السلام من الأرض وأن يقتل بعضهم بعضاً وأعطي سيفاً عظيماً.

ولما فتح الختم الرابع سمعت صوت الحيوات الرابع قائلاً هلم وانظر. فنظرت وإذا فرس أخضر والجالس عليه اسمه الموت والهاوية تتبعه، وأعطيا سلطاناً على ربع الأرض أن يقتلا بالسيف والجوع والموت وبوحوش الأرض.

الاصحاح التاسع:

ثمّ بوّق الملاك الخامس فرأيت كوكباً قد سقط من السماء إلى الأرض وأعطيَ مفتاح بئر الهاوية. فصعد دخان من البئر كدخان أتون عظيم ومن الدخان خرج جراد على الأرض وقيل له أن لا يُضرّ عشب الأرض إلاّ الناس فقط الذين ليس لهم ختم الله على جباههم. وشكل الجرادة شبه خيل مهيأة للحرب وكان لها دروع كدروع من حديد وصوت أجنحتها كصوت مركبات خيل كثيرة تجري إلى قتال.

الإصحاح العاشر:

ثمّ رأيت ملاكاً آخر قوياً نازلاً من السماء متسربلاً بسحابة ورجلاه كعموديَّ نار فوضع رجله اليمنى على البحر واليسرى على الأرض وصرخ بصوت عظيم كما يزمجر الأسد.

في الإصحاح الثاني عشر:

وحدثت حرب في السماء. ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء، فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يُضلّ العالم كله طُرح إلى الأرض وطُرِحت معه ملائكته. وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً في السماء الآن صار خلاص إلّهنا وقدرته وملكه وسلطان مسيحه. من أجل هذا إفرحي أيتها السماوات والساكنون فيها. ويل لساكني الأرض والبحر لأن إبليس نزل إليكم وبه غضب عظيم عالماً أن له زماناً قليلاً.

«في الإصحاح الرابع عشر»:

ثمَّ تبعه ملاك آخر قائلاً بصوت عظيم سقطت بابل المدينة العظيمة لأنها سقت جميع الأمم من خمر غضب زناها.

في الإصحاح السادس عشر:

وسمعت صوتاً عظيماً من الهيكل قائلاً للسبعة الملائكة امضوا واسكبوا جامات غضب الله على الأرض. فمضى الأوّل وسكب جامه على الأرض فحدثت دمامل خبيثة وردية على الناس... إلخ.

في الإصحاح التاسع عشر:

ثمّ رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكم ويحارب إلخ. ورأيت الوحش وملوك الأرض وأجنادهم مجتمعين. ليضعوا حرباً مع الجالس على الفرس ومع جنده.

فقبض على الوحش والنبيّ الكذاب معه الصانع قدّامه الآيات التي بها أضلّ الذين قبلوا سِمَة الوحش والذين سجدوا لصورته وطرح الاثنان حَيّيْنِ إلى بحيرة النار المتقدة بالكبريت. والباقون قتلوا بسيف الجالس على الفرس، الخارج من فمه وجميع الطيور شبعت من لحومهم.

في الإصحاح العشرون:

ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيَّده ألف سنة وطرحه في الهاوية وأغلق عليه وختم عليه لكي لا يُضل الأمم في ما بعد حتى تتم الألف سنة وبعد ذلك لا بُدَّ أن يحل زماناً يسيراً.

ثم متى تمت الألف سنة: يُحل الشيطان من سجنه ويخرج ليُضِل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض يأجوج ومأجوج ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر، فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة نزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم. وإبليس الذي كان يضلهم طُرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذاب وسيعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين.

في الاصحاح السادس عشر:

ثمّ سكب الملاك الثاني جامه على البحر فصار دماً كدم مَيّت وكل نفس حية ماتت في البحر. ثم سكب الملاك الثالث جامه على الأنهار. وعلى ينابيع المياه فصارت دماً. ثم سكب الملاك الرابع جامه على الشمس فأعطيت أن تحرق الناس بنار فاحترق الناس احتراقاً عظيماً. ثم سكب الملاك الخامس جامه على عرش الوحش فصارت مملكته مظلمة.

ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير الفرات فنشف ماؤه لكي يُعدّ طريق الملوك الذين من مشرق الشمس ورأيت من فم التنين ومن فم الوحش

ومن فم النبي الكذاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع. فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم يوم الله القادر على كل شيء. فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هَرْمَجدون.

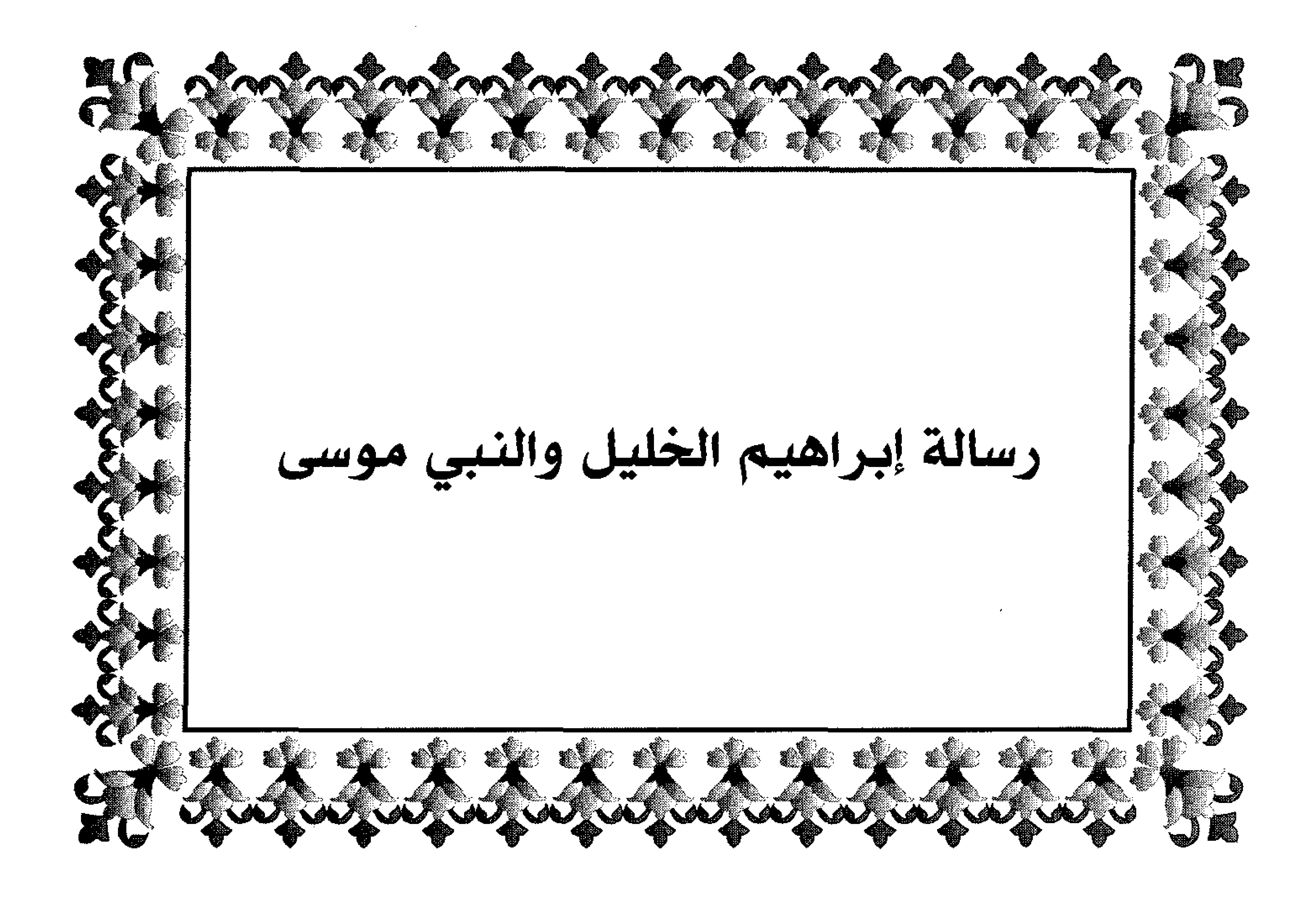
في الإصحاح الحادي والعشرين:

ثمَّ رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا والبحر ولا يوجد فيما بعد. وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدَّسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيّأة كعروس مزيَّنة لرجلها. وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم. وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلّهاً لهم. وقال الجالس على العرش ها أنا أصنع كل شيء جديداً. وقال لي أكتب فإن هذه الأقوال صادقة وأمينة. ثمَّ قال لي قد تمّ. أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية. أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً. من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلّهاً وهو يكون لي ابناً.

ثمَّ جاء إليّ واحد من السبعة الملائكة وتكلم معي قائلاً هلمَّ فأريك العروس امرأة الخروف وأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدَّسة نازلة من السماء من عند الله وكان لها سور عظيم وعالٍ وكان لها اثنا عشر باباً وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكاً وأسماء مكتوبة هي أسماء أسباط بني إسرائيل الاثني عشر.



رسالة إبراهيم الخليل
والنبي موسى



رسالة إبراهيم الخليل والنبي موسى

لقد أرسل الله رسوله موسى مع رسالة هي التوراة وأرسل بعده العديد من الأنبياء البررة لشعب معاند ومقاوم لمشيئة الله. كما يقول النبي أشعيا: طول النهار بسطت يديّ إلى شعب معاند ومقاوم. ويقول الكتاب في إيليا النبي كيف يتوسّل إلى الله ضد إسرائيل قائلاً: يا رب قتلوا أنبيائك وهدموا مذابحك وبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي لكن ماذا يقول الوحي: أبقيت لنفسي سبعة آلاف رجل لم يحنو ركبة لبعل.

والنبي موسى عندما كان مُلاحقاً في مصر فرّ إلى مدينة مدين وعمل فيها وتزوَّج منها وعاش فيها مكرماً لمدة عشر سنوات. وعندما رجع إليها مع الذين كانوا مستعبدين في مصر تزعمُ التوراة أنه أمر بإبادة كل أهل المدينة ما عدا البنات العذارى وسلب كل ما في المدينة. فهل يعقل أنه يفعل ذلك نبي أتاه الأمر الإلهي ليبلغه للناس وهو ـ لا تقتل لا تسرق لا تزن ـ إنه يبيد أهل مدينة كبيرة ويسرق أموالهم ويزني ببناتهم. فنحن نعتقد أن هذه ليست توراة موسى لأنها

فُقدت والتوراة التي بين أيدي الناس القسم الأكبر منها مدسوس لأن ما فيها الكثير مما لا يقبله العقل. وأمّا نبي الله داوود فيقول: «ماذا يصنعه بي البشر اليوم كله. يُحرِّفون كلامي عليّ كل أفكارهم بالشر، خلصني يا الله، أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب. فإنهم جعلوه وحشاً بشرياً بالقول أنه أخرج الشعب الذي فيها مدينة «رِبَة» ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأَمَرَّهم في أتون الآجر وعمل ذلك لجميع مدن بني عمون ـ أليس كلام الملك النبي داوود يبيّن ما كان يعانيه من تحريف وتشويه لهذه التوراة. وما يقال أن هتلر ما فعله في هذا الشعب ناتج عن ما قرأه في هذه التوراة. وأما سليمان فتقول هذه التوراة أنه كان يبني الرجس لآلهة الصيدونيين والعمونيين، والموآبيين. فمن كان يبني الرجس فماذا يبنى له الهيكل أم رجْسَة الخراب. ومن أقوال النبي داوود «افتحوا لي أبواب التبرّ أدخل فيها وأحمد الرب هذا الباب للرب الصديقون يدخلون فيه ـ البَر في التوراة تعني البادية أو الصحراء «الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية من قبل الرب مبارك الآتي باسم الرب ـ والحجر الذي رفضه البناؤون هو اسماعيل ابن إبراهيم الخليل بحجة أنه ابن جارية وابن الجارية لا يرث في عرفهم». وأما ما جاء في سفر أشعيا عن الذي يخرج الحق للأمم وإلى الأمان، لا يَكل ولا ينكسِرْ حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته والبرية ومدنها التي سكنها قبدار ـ ابن اسماعيل ـ أجعل الظلمة عليهم نوراً والمعوجّات مستقيمة يعظِّم الشريعة ويُكرّمها. أليس هذا الآتي باسم الرب هو من سلالة اسماعيل ابن إبراهيم الخليل ومن الذي أتى من هذه السلالة ليُخرج الحق للأمم وإلى الأمان «أيُخرِجُ الحق غير رسول الله محمد ابن عبد الله القرشي الاسماعيلي»؟.

لقد بعث الله إلى هذا الشعب المعاند والمقاوم العديد من الأنبياء الكرام البررة. فمنهم من قتلوه ومنهم من سجنوه ومنهم من طردوه وأخيراً وليس آخراً أرسل لهم رسولاً عظيماً وأيده بروح القدس وأعطاه العديد من الآيات

والمعجزات الملموسة والمحسوسة كإحياء الموتى وشفاء المرضى والسير على الماء والمائدة من السماء علّ هذا الشعب يزيل الضلالة ويزرع الإيمان في نفوسه ويزيل فكرة العصبية والتسلط ويعترف بإنسانيته.

فالمؤمنون بالدين يعتبرون أن أنبياءهم وما جاء في كتبهم المقدّسة هم المثل الأعلى والقدوة لهم فيما يفعلون. فعندما يقرأون ما فعله أنبياءهم من إبادة للناس لأجل نهب الناس ووضع الناس في الأفران لحرقهم فيرون أنهم يتقرّبون إلى الله بذلك فيرتكبون المجازر ضد الإنسانية وهم مرتاحي الضمير. ومن الشواهد على ذلك هو ما ارتكبوه باسم محاكم التفتيش في الأندلس ضد المسلمين واليهود. وما ارتكبوه من مجازر وحشية ضد الهنود الحمر المسالمين في أمريكا وما ارتكبوه من مجازر واستعباد للأفارقة، والمجازر التي ارتكبت في اليابان بأسلحة الدمار الشامل. وغيرها الكثير وكلها استعملت باسم الكتاب المقدس. الذي لا يمكن أن يكون قد بعث من الله إلى أنبياءه البررة من أجل خير الإنسانية ـ إننا نناشد حكماء بني إسرائيل في عصر العلم والنور أن ينقّبوا عن التوراة الحقيقية. فكما قد وُجد من بينهم عبر التاريخ العديد من الأنبياء والصديقين البررة. فلا بُدّ أن يوجد بينهم الحكماء العلماء الذين سيجدون التوراة الحقيقة وسينقّبون عنها في عقولهم فسيجدونها كما وجد جدّهم إبراهيم الخليل الله بالعقل. وسيجدون أنها لا بد أن تتوافق مع المبادئ التي بُعث بها كلٌّ من عيسى بن مريم الناصري ومحمد بن عبد الله القرشي الاسماعيلي.

والآن لنلقي نظرة على ما فعل هذا الرسول العظيم عيسى بن مريم الناصري وما فعلوه به. لقد أرسل الله رسوله الكريم عيسى بن مريم إلى خراف بيت اسرائيل الضالّة ليزيل الضلالة ويزرع الإيمان والمحبة والسلام في هذا الشعب المعاند والمقاوم وبرشدهم بالأمثال ثمّ يشرح هذه الأمثال لتلاميذه الإثنا ـ عشر. وسنسرد هنا شذرات من الأناجيل التي تبيّن رسالة السيد المسيح. وقد حذّر السيد المسيح تلاميذه من خمير الفريسيين والصدوقيين. قائلاً لهم: قلت لكم أن تتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقين ففهموا أنه لم يقل أن يتحرزوا

من خمير الخبز بل من تعاليم الفريسيين والصدوقيين. وقال لهذا الشعب الغارق بالضلالة ـ أن ملكوت الرب ينزع منكم ويعطي لأمة تعمل أثماره، ولكن التلاميذ لم يستطيعوا أن يتحرَّزوا من هذا الخمير. فاستطاع الفريسيون أن ينتزعوا رسالة عيسى المسيح منهم ويحوِّلوها إلى نقيضها. وسنرى شذرات من أعمال الرسل سيما رسائل شاوول ـ بولس الرسول وسنرى التناقض الكبير بينها وبين أناجيل السيد المسيح عيسى بن مريم الناصري.

فشاوول أراد أن يجعل المسيحيين، أن يؤمنوا بأن المسيح قد صار خادماً للختان أي لأسباط بني إسرائيل. من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء، ومن أجل كسب السلاطين إلى دعوته قال في رسالته إلى أهل رومية: لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لأنه ليس سلطانه إلاَّ من الله والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله. حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم الله والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة. ويقول أيضاً: ولكن الآن أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين الذين في أورشليم. استحسنوا ذلك وأنهم لهم مديونون لأنه إن كان الأمم قد اشتركوا في روحانياتهم يجب عليهم أن يخدموهم في الجسديات أيضاً. فاطلب منكم أيها الأخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معي، لكي تكون خدمتي لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين. وفي رسالته إلى كورنتوس، يقول: فإني إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين ـ صرت للكل كل شيء لأخلّص على كل حال قوماً. وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه. (ولكن أي إنجيل).

وفي الإصحاح العاشر ـ رومية. يقول: ثم أشعيا يتجاسر ويقول... أما من جهة إسرائيل فيقول طول النهار بسطت يدَيَّ إلى شعب معاند ومقاوم. فأقول ألَعلّ الله رفض شعبه. حاشا لأني أنا أيضاً اسرائيلي من نسل إبراهيم من سبط بنيامين. لم يرفض الله شعبه الذي سبق فعرفه.

وفي رسالته إلى أهل غلاطية:

يقول ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً حتى أن برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم. لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع أنت كنت وأنت يهودي تعيش أممياً لا يهودياً فلماذا تلزم الأمم أن يتهوّدوا. نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة.

وفي الإصحاح الثالث غلاطية: يقول المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علّق على خشبة.

الإصحاح الثالث فيليبي:

فإنَّ سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلّص هو الرب يسوع المسيح الذي سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحَسْب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء. وهذا المخلّص الذي ينتظره شاوول أليس الذي يقول عنه في رسالته إلى أهل كورنشوس ـ ٦ و٧ ـ فإنكم أنتم هيكل الله الحي كما قال الله: إني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلّهاً وهم يكونون لي شعبا. وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء. ثم كيف أن بطرس الرسول الذي كلّفه السيد المسيح بقيادة رعيته صار مع برنابا ـ لا يسلكون حسب حق الإنجيل مع أن بطرس هو الصخرة التي قال له المسيح أنه سيبني كنيسته عليها. فرسالة شاوول لم تكن للتبشير برسالة ومبادئ السيد المسيح عيسى بن مريم بل لنقضها والتبشير بمسيح آخر هو رب بني إسرائيل الذي يقول عنهم شاوول حاشا أن يغضب الله على شعبه بل سينزل من السماء ليخدمهم ويعيش بينهم. بينما السيد المسيح فيقول لتلاميذه يوم الدينونة ستجلسون، معي لكي تدينوا أسباط بني إسرائيل الاثنا عشر.

فهل يمكن أن يكون المسيح الذي يبشر بالإيمان به بين الأمم هو من يقول عنه أنه صار خادماً للختان وأنه ملعون لأنه وضع على خشبة وحاملاً للخطايا.

أما هدفه فهو إيجاد دين يُستعبد المؤمنين به لأهل الختان أي لأسباط بني إسرائيل لأنهم شاركوهم بالروحانيات ففي المقابل على المؤمنين بهذا الدين الجديد أن يعطوا أهل الختان جسدياتهم أي يكونوا عبيداً لهم. وفي نفس الوقت يكون قد أبقى على الضلالة الذي أتى السيد المسيح لمحوها من خراف بيت اسرائيل الضالة. ويكون قد طبق النظريات الفلسفية العصبية والتسلط التي عرفها من معرفته بالفلسفة والثقافة اليونانية.

وأرى أنه استطاع وبعدما يقارب الألفي عام أن يصل إلى الهدف الذي أراد الوصول إليه. فمن خمير الفريسيين استطاع شاول أن يقنع المؤمنين بالدين الجديد أن السلطان هو ممثل الله على الأرض وطاعته واجبة كطاعة الله وأن الذين أعطونا حق مشاركتنا لهم بالروحانيات واجب علينا بالمقابل أن نعطيهم جَسَدياتنا أي أن نصبح عبيداً لهم. ففي العصور الوسطى أو عصر الظلمات من جراء ذلك تكونت في المجتمعات الغربية ثلاث طبقات هي الطبقة الأرستقراطية وهي الحكام من الملوك والأمراء وسائر النبلاء وطبقة ثانية هي الأكليروس رجال الدين والطبقة الثالثة من سائر الناس من عمال وفلاحين وهذه الطبقة الواسعة تخضع لاستبعاد واضطهاد الطبقتين الأولين.

ومع بدء عصر التنوير في القرن السادس عشر تكونت طبقة جديدة من التجار والمرابين وأصحاب المصانع سموها البورجوازية. ومع بدء انتشار العلم والوعي بدأ الناس يرفضون هذه الأوضاع السيئة. وصار هناك أناس يطالبون بالإصلاح الديني وآخرون يطالبون بالإصلاح الاجتماعي. وصار الأدباء والمفكرون. يحرّضون الناس على الثورة من أجل الإصلاح فقامت حركة البروتستانت ضد تحكم الإكليروس بالكنيسة وبالتالي استعباد الناس باسم الدين. وألغوا تفسير أعطيناكم الروحانيات ففي المقابل عليكم أن تعطونا جسدياتكم. فقالوا لأن من أعطى الروحانيات ليس رجل الدين المسيحي. بل الذي شاركنا في روحانياتهم هم كما أراد شاوول أن تكون هم أهل الختان أي أسباط بني

إسرائيل. هؤلاء فقط هم الأعلون والمسيح ذاته ليس سوى خادماً لهم. وكذلك صار الناس يطالبون بالعدالة والحرية والمساواة فقامت الثورة الفرنسية فألغت الطبقة الأرستقراطية. ولكن إلغاء طبقتي الأرستقراطية والإكليروس لم يتحوَّل لفائدة القاعدة العريضة من الشعب من عمال وفلاحين وسائر المحرومين بل أتى لمصلحة الأغنياء من الطبقة البورجوازية.

وبالإضافة إلى رسائل بولس ـ شاوول ـ التي هي من خمير الفريسيين رأينا فريسيّ آخر هو يوحنا اللاهوتي طلع علينا بخمير آخر مناقض للمسيحية التي أتى بها عيسى المسيح الناصري. هو سفر الرؤيا. والجدير بالذكر أنه وفي القرن الواحد والعشرين هناك ما يزيد عن الـ٧٠ مليون إنسان يؤمنون بما جاء فيها ويعملون بدأب على تحقيق ما جاء فيها ـ قائلاً هو ذا مسكن الله مع الناس وهو يسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم ـ وأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدسة وكان لها سور عظيم وعال وكان لها اثنا عشر باباً وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكاً وأسماء مكتوبة هي أسماء أسباط بني إسرائيل الإثني عشر.

فعندما نقرأ ما في الأناجيل ونقارنها بما في رسائل بولس وسفر الرؤيا نرى التناقض الكبير. فالسيد المسيح يقول أن قريبك هو السامري أي الإنسان. بينما بولس يقول أن قريبك هو الاسرائيلي مهما ارتكب من جرائم فحاشا لله أن يغضب على شعبه. أناجيل المسيح تقول أنه يوم الدينونة هو وتلاميذه سيدينون أسباط بني إسرائيل، الاثنا عشر بينما بولس وسفر الرؤيا يقول أن الله سيحرق كل الأمم ولو كان عددهم بعدد رمل البحر وسوف يبقي فقط على أسباط بني إسرائيل الاثنا عشر، وسيسكن معهم في أورشليم ويكون أباً لهم. الأناجيل تقول أن المسيح أوصى تلاميذه إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحريّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالّة بينما بولس يذهب إلى الأمم ليبشر بالمسيح الذي جعله خادماً لهذه الخراف الضالّة وفاعلاً للخطايا

وملعوناً ليبشر به كإلّه للأمم وليجعل من يؤمنون به عبيداً لهذه الخراف الضالّة لأن أهل الختان أعطوهم الروحانيات فعليهم بالمقابل أن يعطوهم جسدياتهم. وأناجيل المسيح تقول فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدّس. فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال والذي على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئاً. إلخ. . .

والأناجيل تقول: أيها الحيَّات وأولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم. يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. هوذا بيتكم يترك لكم خراباً.

والفريسيين الذين سرقوا مبادئ السيّد المسيح ونقضوها يقولون إنهم سيبنون الأسوار العالية حول أرشليم ويجعلون في هذه الأسوار اثنا عشر باباً بأسماء أسباط بني إسرائيل الاثنا عشر وينزلون الله من السماء ليَسكن معهم ويكون لهم أباً ويكونون هم أبناءه وبناته.

ويقول السيد المسيح في الإنجيل في مثل الكرم والكرامين: أما قرأتم هذا المكتوب، الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا، فقالوا له أولئك الأردياء يهلكم هلاكاً رديئاً ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها لذلك أقول لكم إن ملكوت الرب ينزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره. ـ نعم لقد نزع ملكوت الرب من هذا الشعب المعاند والمقاوم وأعطيَ لأمة الحجر الذي رفضه البنّاؤون بحجّة أنه ابن جارية وابن الجارية لا يرث. ـ في رسالة بولس إلى أهل رومية: الإصحاح التاسع يقول: فإنّي كنت أود أن أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد الذين هم اسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والموعد ولهم الآباء:

ولكن ليس جميع الذين من اسرائيل هم اسرائيليون. ولا لأنهم من نَسْل إبراهيم هم جميعاً أولاد.

بل باسحاق يدعى لك نسل. أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلاً لأن كلمة الموعد هي هذه. أنا آتي نحو هذا الوقت ويكون لسارة ابن. وليس ذلك فقط بل رفقة أيضاً وهي حبلى من واحد وهو إسحق أبونا. قيل لها إنه الكبير يُستعبد للصغير كما هو مكتوب، أحببتُ يعقوب وأبغضت عيسو فماذا نقول. ألعلَّ عند الله ظلماً. حاشا وفي مكان آخر يقول ليس عند الله محاباة. إذن لماذا العهود والمواعيد التي يتكلم عنها شاوول هي ليعقوب وأسباطه فقط ـ هل لأنه كما تزعم التوراة: إنه عندما كان يعقوب عائداً إلى الخليل محملاً بالهدايا لأخيه التوأم عيسو لاسترضائه حتى يسمح له بالسكن بالخليل ويعقو عنه؛ والتقى بشخص في الطريق فتصارع معه فأَسَرَهُ وتبيَّن له (في نسخ من التوراة أنه الرب وفي نسخ أخرى ملاك الرب). ولم يطلقه حتّى أعطاه هذه المواعيد والعهود. وهل هناك مستنير يقبل هذه الخرافة.





الدعوة الإسلامية



نشأة النبي الأولى: ولد صاحب الدعوة الإسلامية وقد مات أبوه وبعد ست سنوات ماتت أمه فكفله جده عبد المطلب وكانت له السقاية والرفادة من مناصب الكعبة وكان له مقام رفيع في قريش لكنه توفي بعد سنتين فكفله عمه أبو طالب وكان وجيهاً محترماً فشبَّ محمد في بيته كأحد أولاده وكان أبو طالب صاحب تجارة مثل سائر قريش، فكان إذا خرج في تجارة اصطحبه في أسفاره فاشتهر منذ حداثته بالحصافة والذكاء وصدق السيرة حتى لقبوه بالصادق الأمين واشتهر في مكة بهذا اللقب فعرفت بأمره خديجة بنت خويلد وكانت ذات ثروة وتجارة فعهدت إليه في الإتجار بما لها فاتجر ورَبح فازدادت إعجاباً به فعرضت عليه الزواج بها فتزوجها فاتسعت حاله وأصبح من أهل الرَّخاء واليَسار والكل يحبّونه ويحترمونه.

الدعوة: ولما بلغ الأربعين من العمر مال إلى الخلوة والاعتزال عن الناس وكان معتزلاً بنفسه في غار حراء فنزل عليه الوحي وقرأ عليه أول سورة من سُوَر

القرآن ودعاه أن يرددها ورَاءه فرددها وأصابه الروع وأسرع إلى زوجته خديجة وأنبأها بما وقع وقال ـ إن الملاك أمره أن يقول: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. فقرأها وأنه خرج إلى وسط الجبل فسمع صوتاً من السماء يناديه: «يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل» فذُعِر وأسرع إلى خديجة فأخبرها. وكان لها ابن عم اسمه وَرَقة بن نوفل قرأ الكتب ونظر فيها وخالط أهل التوراة والإنجيل وسمع أقوالهم وكان مشهوراً في مكة بسعَة العلم في الدين والنبوات فذهبت إليه وأخبرته بما كان فقال: «والذي نفس ورقة بيده، لو صدقتيني يا خديجة لقد جاء الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وإنه نبي هذه الأمّة». فرجعت خديجة إليه وأخبرته بقول ورقة فاطمأن باله، فعمد إلى بث دعوته سراً بين أقرب الناس إليه فاجتمع حوله نفر قليلون في جملتهم ابن عمه عليّ بن أبي طالب وكان لا يزال غلاماً وأبو بكر الصديق وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهم. فهمَّ بدعوة الناس جهاراً وبدأ بعشيرته الأقربين. فكلَّف ابن عمَّه علياً أن يصنع لهم طعاماً يدعو أهله وفيهم عمومته بنو عبد المطلب وأولادهم وهم نحو أربعين رجلاً فدعاهم إلى بيت أبيه أبي طالب. فلما فرغوا من الطعام قال: «ما أعلم أن إنساناً من العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به فقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة. وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني في هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم (أبو الفداء، ١١٩ ج١) فظلوا ساكتين. فتقدم عليّ ابن عمه وقال: «أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليهم». فأخذ النبي برقبته وقال: «هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوه». فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: «قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيعه ثمّ انصرفوا. على أنّ استخفافهم هذا لم يقعده عن عزمه ولا أبعده عن قومه. وجاهر بسبّ الأصنام ونسب أهله إلى الكفر والضلال. فأجمعوا على عداوته ومقاومته وتعمدوا أذاه لكنهم لم يروا إلى ذلك سبيلاً وهو في كفالة عمه أبي طالب. فجاؤوا عمه وفيهم أبو سفيان فقالوا له: «يا أبا طالب إن ابن أخيك عاب ديننا وسفّه أحلامنا وضلّل آباءنا فردّه عنا أو خلِّ

بيننا وبينه». فردهم أبو طالب رداً حسناً ووعدهم خيراً. ثمّ رأوه لا يزال ماضياً في سب آلهتهم فعادوا إلى أبي طالب وقد اشتدّ بهم الغيظ وقالوا له: «إن لم تنه ابن أخيك وإلاّ نازلناك وإياه حتى يهلك أحد الفريقين» فعظم ذلك على أبي طالب وأدرك عاقبة الأمر فلما عادوا من عنده قال لابن أخيه: «يا ابن أخي أن قومك قالوا كذا وكذا». فظن أن عمّه يخذله فشق عليه ذلك وقال: «يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الأمر وبكى وهمَّ بالانصراف فناداه عمّه وقال له: «قل ما أحببت فوالله لا أسلمك أبداً». وكانت دعوته في أثناء ذلك تنتشر على مهل وقد أسلم جماعة من خيرة الناس كان لهم شأن عظيم منهم أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان والزبير بن العوّام وعبد الرحمن بن عوف وحمزة بن عبد المطلب (عمه) وعمر بن الخطاب وكان لإسلام هذين الأخيرين وقع حسن عند النبي لأنهما كانا من أهل الوجاهة والقوة.

أما سائر أعمامه وأهله فلما يئسوا من وساطة عمه أبي طالب رأواأن يحتالوا في استرضائه بالحُسنى فبعثوا إليه وقد اجتمع كبارهم في ندوة فجاء فاستقبلوه بالترحاب وقالوا له: «يا محمد، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة فما بقي أمر قبيح إلاّ قد جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت تطلب به الشرف فينا فنحن نسوّدك علينا وإن كنت تريد به مُلكاً ملكناك علينا. فقال لهم: «ما بي ما تقولون وما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليَّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وأن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم».

فلما لم يروا سبيلاً إليه جعلوا يعذبون الذين أسلموا وصدقوا دعوته

والمسلمون صابرون على ذلك العذاب حتى إذا اشتد أذى قريش لهم وضاقوا ذرعاً عن تحمل ما كانوا يسومونهم من سوء العذاب والإهانة أشار النبي على الذين ليس لهم عشيرة تحميهم أن يخرجوا من مكة إلى أرض الحبشة. فهاجروا إليها تباعاً فبلغ عدد المهاجرين ٨٣ رجلاً ما عدا النساء والأولاد وهي الهجرة الأولى. وقد تحمّل هؤلاء المشقة من ركوب البحر في تلك الأزمان مع ما حملوه معهم من النساء والأطفال. فيدل ذلك على ما كان عليه من الاعتقاد المتين بالإسلام.

هل كان يعتقد صدق رسالته:

زعم بعض الكتاب من غير المسلمين أن صاحب الشريعة الإسلامية إنما قام بهذه الدعوة طمعاً في السيادة ورغبة في ملاذ الدنيا. ولكن تاريخ الدعوة يدل دلالة صريحة على أنه إنما قام بها عن صدق وإخلاص، فلم يدع الناس إلى الإسلام إلاّ وهو يعتقد اعتقاداً متيناً بصحة رسالته وأن الله أرسله لبثَ تلك الدعوة، ولولا هذا الاعتقاد لم يصبر على ما ناله من الاضطهاد وضروب العذاب. وقد كان قبل ظهوره بالدعوة موضع احترام أهل مكة كافة. وأهله يحبونه ويكرمونه وهو في عيش هنيء لما اكتسبه من الباب اليسار بزواجه من خديجة واتجاره بأموالها. فأصبح بعد ظهوره بالدعوة وقد ناصبه أهل مكة العداء وساموه أنواع العذاب وأهانوه. حتى نقموا على بني هاشم لأنهم أهله فتعاقدوا أن لا يزاوجوهم ولا يبايعوهم وكتبوا بذلك صحيفة أودعوها في جوف الكعبة. فاضطر بنو هاشم أن ينفروا إلى الجبال فأقاموا بالشعب ثلاث سنين لا ينزلون مكة إلاّ خفية ـ إلا من جاهر منهم بعدوانه للمسلمين كأبي لهب ـ ويقول البعض أنه لم يثبت إلاّ لاحتمائه بعمه أبي طالب. ولكن رأيناه بعد وفاة عمه أكثر ثباتاً منه في حياته مع أن الناس أصبحوا أكثر اضطهاداً مما كانوا قبل وفاته وخصوصاً بعد وفاة خديجة وقد ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين. فتتابعت بموتهما المصائب عليه واستبدت به قريش ولا سيما عمه أبو لهب والحكم بن العاص وعقبة بن

أبي معيط لأنهما كانوا جيرانه بمنزله. فكانو يلقون الأقذار في طعامه ويرمونه بها وقت صلاته. وقد نبذه الناس قريبهم وبعيدهم مع علمه أنه إذا رجع عن دعوته لقي منهم ترحاباً وإكراماً كما صرحوا له جهاراً، لكنه لم يكترث لشيء من ذلك ولا أهمه أمر الدنيا.

فلولا اعتقاده المتين بصدق الدعوة التي قام بها وإنه منتدب لهذه الرسالة من الله سبحانه وتعالى لما صبر على ذلك كله. ولما يَئِسَ من أهله ومواطنيه جعل يعرض نفسه على القبائل في أيام الحج لعله يلقى فيهم من يُصغي إليه وقومه يعترضون ويقفون في سبيله. ولكن ذلك لم يقعده عن دعوة الناس وما زال يعرض عليهم في المواسم حتى بايعه نفر من أهل يثرب، كانوا وسيلة لنشر الإسلام في تلك المدينة في برهة قصيرة. فنشَّطه أهل يثرب ودعوه إليهم على أن ينصروه فهاجر إليهم سنة ٦٢٢ للميلاد وهاجر معه من بايعه من قبيلته وهم «المهاجرون» تمييزاً لهم عن الفئة الأخرى من الصحابة وهم «الأنصار» أهل يثرب سُموا بذلك لأنهم نصروا النبي في مدينتهم. ولقيَ المسلمون في المدينة ترحاباً عظيماً فاشتدَّ إزرهم وتحوَّلوا إلى محاربة أهل مكة الذين أرغموهم على ترك ديارهم فجعلوا يناوئونهم في أثناء مرورهم بتجاراتهم بين الشام ومكة وفي أماكن أخرى. ووقعت بين الجانبين وقائع كثيرة أعظمها غزوة بدر الكبرى التي انتصر المسلمون فيها وكانت فاتحة انتصاراتهم في الغزوات الأخرى حتى أخضعوا جزيرة العرب كلها وفتحوا مكة وأسلم القرشيون كافة فوجَّه النبي التفاته إلى العالم الخارجي وخاطب الملوك يدعوهم إلى الإسلام.

شذرات من القرآن الكريم

فاتحة الكتاب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا

ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وفي سورة المائدة آية: ٣، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾.

وفي سورة المائدة: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

وفي سورة البقرة: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

ومن سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

وفي سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

سورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

ومن سورة اقرأ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

ومن القرآن أيضاً: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

في سورة الممتحنة: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

ومن سورة المنافقون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾.

ومن سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

ومن سورة البقرة: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

شذرات من الحديث الشريف

ـ الناس كلهم عيال الله وأحبّهم إليه أنفعهم لعياله (أي لعيال الله).

ـ وأيضاً ـ كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيّته.

ـ وأيضاً ـ الدنيا مزرعة الآخرة فما تزرعه في هذه الدنيا تحصده في الآخرة.

ـ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

ـ اطلب العلم من المهد إلى اللحد.

ـ اطلب العلم ولو في الصين.

ـ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

ـ حسين مني وأنا من حسين.

ـ أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها من أراد الدخول إلى المدينة فليدخل من الباب.

ـ من رأى منكم منكراً فليقوّمه بيده وإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وهو أضعف الإيمان.

يوم فتح مكة:

قال الرسول لأهل مكّة كل من دخل بيت آبي سفيان ـ العدو الأول للمسلمين ـ فهو آمن ومن دخل بيته فهو آمن ثمَّ جمعهم وقال ماذا تظنون أني فاعل بكم فقالوا أخٌ كريم وابن أخٍ كريم. فقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء ما عدا خمسة أشخاص نفاهم إلى الطائف لأنهم كانوا قد آذوا النبي والمسلمين كثيراً ومنهم مروان بن الحكم.

ومن سورة البقرة، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وفي سورة الحجر، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

وفي سورة الرحمن، ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾.



من الذي يحمل سِمَة التنين
دراسة للعدالة الإنسانية
في الديانات الإبراهيمية
وكيف نقصت باسم الدين
ـ مصادر البحث ـ

التوراة ـ الأناجيل ـ أعمال الرسل ـ رسائل بولس ـ سفر الرؤيا ـ القرآن الكريم ـ الأحاديث النبوية ـ تاريخ التمدّن الإسلامي ـ لجرجي زيدان ـ المراجعان للإمام شرف الدين ـ الشيخ محمد عبده ـ تاريخ الأئمة.

هكذا تكلم علي شريعتي ـ وعاظ السلاطين لعلي الوردي.





الخلفاء الراشدون





الخلفاء الراشدون

كان النبي في أثناء حياته أمير المسلمين وقائدهم في الحرب وإمامهم في الصلاة وقاضيهم في سائر الأحوال، فلما مات اختلفوا عند موته في من يخلفه وأما قوله لِعَليّ أنه وصيَّه ووَليه فلم يتفقوا على معنى الوصيّ والوَليّ.

فقال المهاجرون نحن أحق بالخلافة لأننا أهل النبي وأصحابه وقد تركنا أهلنا وبلدنا وهاجرنا معه. وقال الأنصار بل نحن أحق بذلك لأننا آويناه ونصرناه. فذكرهم أبو بكر بحديث كان النبي قد قاله على مسمع منهم وهو: «قريش ولاة هذا الأمر». فأذعنوا وتراجع الأنصار. فبادر عمر بن الخطاب إلى أبي بكر فبايعه فلما رأوه سبقهم إلى مبايعة أبي بكر بايعوه وانفضَّ المشكل.

أحوال الخلفاء الراشدين:

دولة الخلفاء الراشدين تأسست على التقوى وشيدت بالعدل وكان خلفاؤها في أبسط أحوال العيش وكانت الخلافة في عهدهم أشبه بالرتب الدينية

منها بمصالح الدولة وكانوا يحكمون الناس بالتقوى والعدل والقدوة الحسنة. كان طعامهم أدنى من أطعمة فقرائهم وهم لم يتقللوا منه لفقر أو عجز ولكنهم كانوا يفعلون ذلك مؤاساة للفقراء من رعيتهم فقد كان لِعليّ بن أبي طالب انتفاع طائل من أملاكه يخرجه جميعه على الفقراء. ولم يكونوا يعبأون بالمال وكان ذلك شأن سائر الصحابة في أيامهم. ولكن في أواخر عهد الراشدين وخاصة في منتصف عهد الخليفة عثمان بن عفان تغيّر الأمر.

وأول خطبة قالها أبو بكر الصديق بعد المبايعة تمثل حقيقة الإسلام وتبين السر الذي ساعد على سرعة انتشاره وتأييد سلطانه وهي: «أيها الناس قد وُليت عليكم ولست بخيركم. فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوّموني. الصدق أمانة والكذب خيانة. والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق له إن شاء الله تعالى. لا يدع أحد منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم إلاّ ضربهم الله بالذل. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

الردّة:

تسلم أبو بكر الخلافة والإسلام في غاية الاضطراب بسبب الردَّة ومن أسبابها أن بعض القبائل دانت بالإسلام ولم يتمكن الإسلام من عقولهم وقلوبهم. وأشتد أمر الرّدَّة واستفحل المرتدون حتى حمل بعضهم على المدينة نفسها وهي عاصمة المسلمين فهاجموها وكادوا يأخذونها لو لم يدافعهم أبو بكر دفاعاً جميلاً وقد تصرَّف في محاربة المرتدين تصرَّف الرجل الحكيم الحازم. فلم تمض على ذلك سنتان حتى استتب الأمر لأبي بكر وعاد الناس إلى ما كانوا عليه وسكنت الأحوال. فحوَّل التفاته إلى الشام والعراق اقتداءً بما أراد النبيّ، فوجَّه إليهما الجنود فجرت واقعة اليرموك الشهيرة سنة ١٣هـ. وكانت سبباً في فتح الشام واشتد أزر المسلمين بها كما اشتد أزرهم بواقعة بدر الكبرى.

والوصيّة الأولى التي تزوّد بها المسلمون من أبي بكر إلى أسامة عندما خرج مع الجيش لفتح الشام قال «لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تُمثلوا ولا

تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة وأن أدار الذي يقاتلك ظهره فلا تقتله ولا تلحق به ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا ولا بقرة ولا بعيراً. سوف تمرون بأقوام قد فرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم له».

خلافة عمر بن الخطاب:

توفي أبو بكر الصديق سنة ١٣هـ. وقد أوصى بالخلافة لعمر بن الخطاب وكان عمر رجلاً حازماً عادلاً شديداً في الحق، وفي أيامه ثم فتح الشام والعراق وأهم وقائعها واقعة القادسية سنة ١٤هـ. وهي من أشهر الوقائع الرئيسية التي فاز فيها المسلمون وفي أيامه فتح بيت المقدس واشترط أهلها أن يأتي عمر بنفسه لعقد الصلح على يديه وفتحت المدائن عاصمة الفرس سنة ١٦هـ وفُتحت أرمينيا سنة ١٧هـ وفُتحت مصر وفُتحت برقة. وقُتل عمر أمير المؤمنين سنة ٢٣هـ. وخلفه عثمان بن عفان ونظراً لكثرة الفتوح في أيامه تذكر الأسباب التي ساعدت عليها.

وعندما وُلّيَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال «لقد وليت أموركم فمن رأى بي إعوجاجاً فليقوّمه. بحد سيفه».

الأسباب التي ساعدت على كثرة الفتوح: هي بالإضافة إلى نشاطهم وخفة أحمالهم ـ اعتقادهم بالقضاء والقدر وأنَّ الإنسان لا يموت إلاّ إذا جاء أجله ـ ومهارتهم في ركوب الخيل ورمي النبال. والأهم من كل ذلك كان عدل المسلمين ورفقهم وزهدهم. والشعوب التي كانت تحت حكما لقياصرة والأكاسرة كانت تعاني من الظلم والجور فكانوا يتطلعون إلى عدل المسلمين ورفقهم وزهدهم فكانوا عوناً للمسلمين على حكامهم. وكان لتلك المناقب تأثير عظيم في من يدخل تحت سلطان المسلمين من رعايا الروم أو الفرس.

ومن العدالة المشهورة عنهم: التسوية بين الناس واستبقاء الناس على أحوالهم. ومن قبيل التسوية بين طبقات الناس رفيعهم ووضيعهم ومن أوضح الأدلّة على ذلك ما كان من أمر جبلة بن الأيهم ملك غسان لما أسلم في زمن

عمر بن الخطاب ـ الخليفة الثاني وجاء المدينة بخيله ورجاله وقد فرح عمر بإسلامه وخرج أهل المدينة للنظر إلى موكبه وفيه الخيول المعقودة أذنابها وفي أعناقها سلاسل الذهب وعلى رأس جبلة تاج مرصع بالجوهر. على أنّ ذلك لم يمنع عمر من إقامة الحد عليه لما وَطئ أحدبني فزارة إزارَهُ وهو يطوف بالكعبة، فرفع جبلة يده وهَشّم أنف الفزاري فاشتكاه الفزاري إلى عمر فبعث إلى جبلة فأتاه فقال له: «ما هذا قال نعم يا أمير المؤمنين، إنه تعمَّد حل إزاري ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف. فقال عمر قد أقررت على نفسك فإما أن تُرضي الرجل وأما أن أقيده منك فآمر بهشم أنفك كما فعلت به قال وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سوقَة وأناملك. فقال الإسلام جمعك وإياه فلست تفضله إلاَّ بالتقى والعافية. ومثل هذه الكثير الذي يدل على عدل المسلمين ومساواتهم. ومثلها حكاية القبطي الذي ضربه ابن عمرو بن العاص فذهب إلى عمر بن الخطاب في المدينة فاستعاذ به فبعث عمَر إلى عمرو بن العاص وكان والياً على مصر فاستقدمه وابنه فلما جاء أعطى الخليفة سوطاً للقبطي وأَمرهُ أن يضرب ابن عمرو فضربه وقال الخليفة لعمرو بن العاص: «يا عمرو منذ كم تعبّدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

ولا يخفى ما كان لهذه المناقب من التأثير في تعجيل الفتح لأن أهل العراق والشام ومصر كانوا يشكون استبداد حكامهم فيهم واحتقارهم إيَّاهم فلما علموا بعدل المسلمين ورفقهم مالوا إليهم.

واستبقاء الناس على أحوالهم:

كان العرب الملسمون إذا فتحوا بلداً أقروا أهله على ما كانوا عليه من قبل لا يتعرَّضون لهم في شيء من دينهم أو معاملاتهم أو أحكامهم المدنية أو القضائية أو سائر أحوالهم وكان المسلمون يفرضون على من يقبل البقاء على دينه من أهل البلاد المتفوحة ضريبة تسمى الجزية في مقابل حمايتهم وتأمينهم. فلم

يكن استيلاء المسلمين ثقيلاً على الناس بل كان الأهالي كثيراً ما يفضلونهم على حكامهم الأصليين، والجزية التي كانوا يتكلفون دفعها إلى المسلمين أقل كثيراً من مجموع الضرائب التي كانوا يؤدونها إلى الروم والفرس.

عصر الخلفاء الراشدين

هذا هو عصر الإسلام الذهبي عصر العدل والتقوى كانت الحكومة جارية فيه على سُنَنْ العدل والاستقامة والغيرة الحقيقية على الدين ونبذ الدنيا وهو العصر الذي اتخذه المسلمون منوالاً ينسجون عليه وكلما حادت دولة من دولهم عن جادة الحق طلبوا إليها الرجوع إليه والسير على خطوات الخلفاء الراشدين. لأن الحكومة انتقلت بعدهم إلى طور جديد وانقلبت من الخلافة الدينية إلى الملك السياسي ونشأت في الخلفاء والعمال المطامع وأخذوا في حشد الأموال بأية وسيلة كانت. أمّا الراشدون فلم يكونوا يلتمسون الثروة فلما تُوفي أبو بكر لم يجدوا عنده من مال الدولة إلاّ ديناراً واحداً لأنه كان يُفرّق كل ما كان يجتمع عنده على السواء لا ينظر إلى مصلحة نفسه بل هو أنفق كل ما كان عنده من المال قبل تسلمه الخلافة، فلما دَنا أجله أوصى أن تباع أرض كانت له ويدفع ثمنها بدلاً مما أخذه من مال المسلمين لينفقه على نفسه وعياله وكان عنده ثوبان أوصى أن يكفن بهما (ابن الأثير).

وأخبار عمر بن الخطاب في الزهد والنزاهة أشهر من أن تذكر. فقد أسَّس دولة المسلمين على العدل والتقوى والزهد ونُصرة الحق. وكان إذا احتاج إلى مال فوق راتبه جاء إلى بيت المال فاستقرضه حتى يفيه إياه من عطائه فيما بعد ولما طعن وأَحَسَ بدنو أجله قال لابنه: «إني استلفت من بيت مال المسلمين ثمانين ألفاً فلترد من مال ولدي فإن لم يَفِ فما آل الخطاب». وزهده في الطعام واللباس مشهور. ويقال نحو ذلك في الإمام علي فقد كان مغالياً في الزهد والعدل. وقيل إنه أخرج سيفاً له إلى السوق فباعه وقال: «لو كان عندي أربعة دراهم ثمن إزار لم أبعه». ومناقبه لا تحصى ـ ابن الأثير ـ.

وقد ساعد الخلفاء الراشدين على تأييد العدل والحق أن عُمّالهم كان أكثرهم من أهْل التقوى وحسن الاعتقاد في الإسلام ـ ولا غرابة في ذلك لأن العامل إذا رأى خليفته زاهداً تقياً يمنع نفسه من كل شيء ويستهلك من مصلحة الأمة فإنه يقتدي به ولو كان ذلك مخالفاً لرأيه. على أن الخليفة نفسه لا يُوَلّي أعماله إلاَّ من يكون على رأيه وخُلقه.

والمسلمون الأوائل لم يكونوا يعدون الخلافة ملكاً سياسياً ولذلك لم تطل مدة حكمهم إلاَّ ريثما انقضى عصر النبوة وزالت دهشتها فعاد الناس إلى فطرتهم وتسابقوا إلى حشد الأموال والاستئثار بالسلطة. وقد باشروا ذلك في أيام عثمان بن عفان سنة ـ ٢٣ ـ ٣٥ للهجرة. لأنه لم يكن شديداً مثل عمر وكان مع ذلك أموياً فاعتزّ الأمويون به وأرادوا أن يعيدوا لأنفسهم السلطة التي كانت لهم في الجاهلية. وكان بنو هاشم قد سلبوهم إياها بعد الإسلام لأن النبي منهم. فأخذ عثمان يولي الأعمال رجالاً من أقاربه وفيهم من لم يعتنق الإسلام إلاَّ يأساً من فوزه على المسلمين. وكثرت في أيامه الفتوح وفاضت الغنائم فكان يستخص أهله منها بأكثر من سائر الصحابة، كما فعل بغنائم إفريقيا سنة ٢٧هـ فإن المسلمين حاربوها وعليهم عبد الله بن سعد (أخو عثمان من الرضاعة) فبلغت غنائمها ٢,٥٠٠,٠٠٠ دينار، أعطى خمسها إلى مروان بن الحكم وزوَّجه ابنته «اليعقوبي ١٩١ ج٢». وكان هذا الخمس من حقوق بيت المال.

وأبطل عثمان محاسبة العمال لأنهم من أهله فازدادوا طمعاً في حشد الأموال لأنفسهم وخصوصاً معاوية بن أبي سفيان عامله على الشام وهو أكثرهم دهاءً وأبعدهم مطمعاً.

لما تولى عثمان بن عفان وهو أموي وكان من أوائل من اعتنق الإسلام وكان رجلاً صالحاً لكنه كان يُؤثر أقرباءه فجعل يوليهم الأعمال في الأمصار ويعهد إليهم بمصالح الدولة ومنهم مروان بن الحكم الذي كان رسول الله قد نفاه إلى الطائف. ورفض أبا بكر وكذلك عمر أعادته فأعاده عثمان وسلمه ختم

الخلافة لأنه جعله كاتبه الخاص. ولما كان عُماله جلهم من الطارئين على الإسلام ولم يطَّلعوا على عدالة الإسلام فكانت تصرفاتهم فيهاجور وظلم على الشعوب التي يحكمونها والتي اعتادت على العدالة والمساواة بين الناس أيام الخليفتين أبا بكر وعَمر.

كان عثمان يدَلَل أقرباءه وينعم عليهم وبفضلهم على غيرهم في الوظائف وكان يجد لنفسه مبرّراً شرعياً في تحيزّه لأقربائه قالوا له: أن أبا بكر وعمر لم يتحيّزا لأقاربهما كما تحيّزت فأجابهم قائلاً: إنهما منعا قرابتهما ابتغاء وجه الله وأنا أعطي قرابتي ابتغاء وجه الله. ويحكى أن عثمان منح زوج ابنته مائتي ألف درهم فجاء خازن بيت المال، زيد بن أرقم يحتج على ذلك باكياً ويسأله أن يعفيه عن عمله. فقا له عثمان مستغرباً «أتبكي يا ابن أرقم أن وصلت رحمي! فأجاب الخازن قائلاً: لا يا أمير المؤمنين ولكن أبكي لأني أظنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت انفقته في سبيل الله في حياة رسول الله. فغضب عثمان من هذا القول وقال له «ألقِ المفاتيح يا ابن أرقم فإنا سنجد غيرك» ـ سيد قطب العدالة الاجتماعية في الإسلام ص١٩١».

إن سياسة المحسوبية هذه اتبعها عثمان أثارت عليه الناس فأمست هناك فجوة نفسية بينه وبين رعيته وكلما حاول عثمان أن يتقرَّب من رعاياه ويصلح الأمر وقف أقرباؤه حجر عثرة في طريق ذلك وأفسدوا عليه الأمر (عباس العقاد عبقرية الإمام ص٧٣ ـ ٧٦). مما سبَّب نقمة أهل الأمصار على عثمان فجاؤوا إلى المدينة وفيهم أهل مصر والكوفة وأهل البصرة وطلبوا إليه أن يخلع نفسه فأبى فقتلوه فكانت الفتنة الكبرى في الإسلام.

ذكر المسعودي: أنه في أيام عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور، فكان لعثمان يوم قتله عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار، وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرها مائة ألف دينار، وخلَّف إبلاً وخيلاً كثيرة، وبلغ الثمن الواحد متروك الزبير بعد وفاته خمسون ألف دينار،

وخلّف ألف فرس وألف أمة، وكانت غلّة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم، ومن ناحية السراة أكثر من ذلك، وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته أربعة وثمانون ألف دينار. وكذلك عدد لا بأس به من كبار الصحابة الذين استفادوا في عهد عثمان. وكان الخلفاء الراشدون عندما تأتيهم مسالة معقدة يستفتون باب مدينة العلم الإمام عليّ ومرَّة قال الإمام عليّ لأمير المؤمنين عمر في قضية امرأة حامل زانية؛ إذا كان لك عليها سلطان فما لك على الجنين سلطان، فقال عمر: لولا عليّ لهلك عمر لأن تنفيذ الحكم الشرعي بهذه المرأة سيؤذي الجنين الذي فيها نفس بشرية وهو بريء ومن قتل نفساً بغير ذنب أو فساد في الأرض كأنما قتل الناس جميعاًوسيكون حسابه عسيراً يوم الحساب. لذلك قال عمر لولا عليّ لهلك عمر لأنهم كانوا يخشون أن يصدر عنهم أي حكم غير عادل لأنهم يؤمنون أن أي ظلم في ما حكم سيؤدي بهم إلى التهلكة.

الإمام عليّ بن أبي طالب أو صوت العدالة الإنسانية:

إن علياً بدأ سيرته الاجتماعية وهو محاط بهالة من الأحاديث النبوية المشيدة بفضله، وشاء القدر أن ينهض عليّ لمكافحة قريش ولمقاومة نزعتها الطبقية في الإسلام فأصبحت ذكراه من جراء ذلك ملجأ روحياً لكل من يشكون من الظلم أو الاستعباد وهذا أدى بدوره إلى انهماك الناس في حب عليَّ وفي الإشادة بفضله. فالنبي مَهّدَ لحب الناس لعليّ لكثرة ما مدح علياً وأشاد بفضله. وبهذا شرَّع للناس من بعده سبيلاً فكرياً لا ينتهي عند حد. لا سيما عندما قام عليّ بثورته الكبرى في سبيل المساواة والعدالة الاجتماعية.

فما الذي جعل النبي يمدح علياً أكثر مما مدح غيره من الصحابة؛ لا شك أن علياً كان من أعظم المناضلين المجاهدين في الحروب التي خاضها الإسلام في حياة النبي. فعليّ كان البطل المجليّ في حروب بدر وأحد والخندق وخيبر

وحنين، فمن يدرس هذه الحروب يجد علياً فيها بطلاً مغواراً لا يشق له غبار وقد قتل عليّ جميع من بارزهم كائناً من كانوا.

فالنبي كان يشعر نحو عليّ بعاطفة تشبه عاطفة الأبوة. فقد تبنى النبي+ علياً منذ طفولته الباكرة ورباه في بيته ولما كبر زوجه النبي بابنته فاطمة.

يروي ابن حجر أن علياً دخل على النبي ذات يوم وعنده العباس عمه. فقام النبي يعانق علياً ثمَّ قبَّلَهُ بين عينيه وأجلسه عن يمينه. فسأل العباس محمداً: أتحبه. قال محمد: «**يا عم والله... الله أشد حباً له مني**». **إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب هذا**» ـ ابن حجر ص٩٣ ـ. اشتكى بعض الصحابة إلى النبي من عليّ ذات مرّة فبدا الألم على وجه النبي وقال: «**ماذا تريدون من علي ما تريدون من عليّ، ما تريدون من عليّ؟ عليّ مني وأنا منه وهو وليّ كل مؤمن بعدي**» انظر عباس العقاد ص١٦٤.

الظاهر أن علياً كان قريباً إلى قلب النبي وإلى عقله معاً. فهو ربيبه وزوج ابنته من ناحية وهو بطل من أبطال الجهاد من أبطال الجهاد من الناحية الأخرى ونُدر بين الصحابة من نال عند النبي هذه الحظوة التي نالها عليّ. يعتقد الأستاذ عباس العقاد أن النبي كان يحب علياً ويحبِّبه إلى الناس لكي يمهد له سبيل الخلافة من بعده والنبي في رأي العقاد لم يُرد أن يفرض رغبته هذه على الناس إنما أراد أن يختاره الناس طواعية وحباً. ويُروى أن النبيّ قال بعد حجَّة الوداع في حشد كبير من الناس «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والي من والاه وعاد من عاداه**».

وهذا الحديث الذي يطلق عليه حديث الغدير، يرويه الشيعة وأهل السنة معاً يقول الحافظ ابن حجر: إن حديث الغدير صحيح لا مِرْية فيه وقد أخرجهُ جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد وطرقة كثيرة جداً ومن ثمَّ رواه ستة عشر صحابياً وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبي ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي لمّا نوزعَ أيام خلافته. (انظر ابن حجر الصواعق المحرقة، ص٢٥).

أخلص عليَّ لأبو بكر ولعمر من بعده والظاهر أن عليّ لم يتألم لفوات الخلافةمنه على عهد أبي بكر وعمر. ولكن فواتها منه بعد عمر هذا الذي أثار أشجانه وحرَّ في قلبه. كان عليّ يشعر في عهد عثمان بألم مضاعف سيما حين رأى قريشاً وارستقراطيها تستغل ذلك العهد وتحاول إرجاع الأمور إلى أدبارها. وكا يؤيّد علياً في هذا ثلاثة رجال هم أبو ذر وعمار وسلمان الفارسي. وهؤلاء كانوا يؤلفون تشكيلة غريبة في بابها. فكل واحد منهم كان ذا شخصية فذة وكلهم كانوا يكرهون قريشاً وتسلطها كرهاً شديداً. والغريب أن كل واحد من هؤلاء الفرسان الثلاثة انجذب إلى الدين قبل أن يرى محمداً. ثمَّ نراهم في عهد عثمان يلتقون حول عليّ ويعلنونها حرباً شعواء على قريش ومن الأحاديث المنسوبة إلى النبي: إن الجنة تشتاق إلى أربعة: «علي وعمار وسلمان وأبي ذر». وتجدر الإشارة إلى أن البلدان التي سكنها هؤلاء الثلاثة أصبحت فيما بعد مركزاً من مراكز التشيَّع لعليّ بن أبي طالب. فعمار سكن الكوفة يوم كان والياً عليها في عهد عمر وصارت الكوفة بعد ذلك عاصمة التشيُّع في العالم الإسلامي كله. أما سلمان فقد تولى أمر المدائن. ثمَّ صارت المدائن فيما بعد موطناً للتشيَّع. أما أبو ذر فقد نفاه معاوية مرة إلى جبل عامل ـ جنوب لبنان ـ ولا يزال ذلك الجبل حتى يومنا هذا موطناً للتشيَّع بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفَّان والذي سمح لأرستقراطي قريش بالتسلط على الناس وصار المجتمع الإسلامي مؤلف من طبقة غنيَّة متسلطة وهي من وُجهاء قريش وطبقة تعاني من الفقر والظلم وهي من سائر العرب والموالي.

بايع الناس ومن بينهم الثوّار عليّ بين أبي طالب بالخلافة فأوّل عمل قام به عليّ هو أنه عزل جميع العمَّال والولاة الذين كانوا على عهد عثمان. فجاءه أصحابه ينصحونه بأن لا يفعل ذلك فأبى عليّ وأصرَّ على إبائه. يقول الساسة أن التدريج في مثل هذه الحالة ضروري. ولكن علياً لا يعرف هذه الضرورة. فالمساومة الأولى تجر وراءها مساومات. نصحه المغيرة بن شُعبة وكان من دهاة

العرب فقال له «أقرر العمال على أعمالهم حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت» فأجابه عليّ: «لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنية في أمري».

وجاء إليه جماعة من أصحابه بعد هذا ينصحوه بأن يقسم المال بين الناس حَسْبَ منازلهم الاجتماعية وأنسابهم ليتألف قلوبهم فقال لهم: «أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور». وجاء إليه أحد زعماء بني أمية بعد أن تمَّت له البيعة فقال له: «يا أبا الحسن إنك قد وترتنا جميعاً. . ونحن نبايعك على أن تضع عنا ما أصبناه من المال أيام عثمان». فأبى.

وقال في خطبته التي افتتح بها عهد خلافته: «ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال. . . فإن الحق لا يبطله شيء ولو وجدته قد تزوَّج به النساء، وملك الإماء وفرَّق في البلدان لرددته ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق. .».

كان عليّ لا يبالي بالأشراف وبالشعراء. جُلَّ همه كان منصَّباً على العامة من الناس. فكان يداريهم ويرعاهم ويلقي باله إليهم. وقد كتب إلى أحد ولاته كتاباً يقول فيه: «وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدّة للأعداء ـ العامّة من الناس. فليكن صفوك لهم وميلك إليهم».

والإمام عليّ كان زاهداً بالدنيا وهمه العدل والعدالة بين الناس. جاءت إلى عليّ ذات يوم امرأتان فقيرتان تسألانه شيئاً من المال فأعطاهما. ولكن إحدهما سألته أن يفضلها على صاحبتها لأنها امرأة من العرب وصاحبتها من الموالي. فأخذ عليّ شيئاً من التراب فنظر فيه ثم قال: «ما أعلم أن الله فضلّ أحداً من الناس على أحد إلاّ بالطاعة والتقوى».

من خطبة له عليه السلام: «والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهّداً وأُجرُّ في الأغلال مصفّداً، أحب إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من الحطام إلى أن قال عليه السلام؛ والله لو أعطيت

الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نملة أسلُبها جلب شعيرة ما فعلت وأن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها.

ومن كلام له في الوعظ حينما سأله صاحبه همام أن يصف له المتقين فقال «أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم لأنه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه ووضعهم من الدنيا مواضعهم؛ فالمتقون فيها هم أهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع غضوا أبصارهم عما حرّم الله عليهم، ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم عَظُمُ الخالق في أنفسهم فصغُر ما دونه في أعينهم فهم في الجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم في النار كمن قد رآها فهم فيها معذَّبون، قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة، حاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين وحزماً في لين وإيماناً في يقين وحرصاً في علم وعلماً في حلم وقصداً في غنى وخشوعاً في عبادة وتجملاً في فاقه وصبراً في شدّة وطلباً في حلال ونشاطاً في هدى ومخرجاً عن طمع. يعفو عمَّن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه بعيداً فحشه ليناً قوله غائباً منكره حاضراً معروفهُ مقبلاً خيره مدبراً شَرَهُ في الزلازل وقور وفي المكاره صبور وفي الرخاء شكور». وقال عليه السلام: «إن لله في كل نعمة حقاً فمن أدَّاه زاده منها ومن قصّر عنه خاطر بزوال نعمته؛ إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجَّار وأنَّ قوماً عبدوا لله رهبة فتلك عبادة العبيد وأن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار».

يقول المدائني: إن من أهم أسباب تخاذل العرب عن عليّ بن أبي طالب كان إتّباعه لمبدأ المساواة بين الناس حيث كان لا يفضل شريفاً على مشروف ولا عربياً على عجمي ولا يصانع الرؤساء وأمراء القبائل.

لهذا وجدنا علياً في أواخر أيامه متألماً إلى أبعد الحدود، إذ كان يريد من الناس شيئاً ويريد الناس منه شيئاً آخر فقد إلتفّ الناس حوله في بدء الثورة ثمَّ

إنفضّوا عنه وأخذوا يشغبون عليه أخيراً. فوقف في أصحابه بالكوفة في أواخر أيامه يلقي خطبة طويلة ينعي فيها أصحابه ثمّ ضرب بيده على لحيته فبكى وأطال البكاء ولم تمض أيام قليلة على هذا الموقف الحزين حتى قُتل عليّ في المسجد غيلة. ولما أَحَسَّ بلذع السيف في رأسه قال «فزت ورب الكعبة».

مات عليّ ولكن ذكراه بقيت على مدى الأجيال تُحفّز الناس على الثورة وتدعوهم إلى طلب العدل. أخفق عليّ في ميدان السياسة ونجح في ميدان آخر هو ميدان الثورة الاجتماعية التي لا يخمد لها أوار.

فلولا علي لكان الإسلام من طراز تلك الأديان التي تدعو إلى الفتح والسيطرة والاستعمار ولانتفت عنه صفة الرحمة التي بُعث من أجلها محمد بن عبد الله. والإمام عليّ كان ينظر إلى الطقوس الدينية والشعائر أنها واجبة لأنها الوسيلة للوصول إلى الدين الذي هو المعاملة الإنسانية والعدل الاجتماعي وقد قال «كم من صائم ليس له من صيامه إلاّ الجوع والظمأ وكم من قائم ليس له من قيامه إلاّ السهر والعناء. حبذا نوم الأكياس وأفطارهم. لذلك أبقى على حيّ على خير العمل بالأذان والإقامة.

ويقول الإمام عليّ «إن الله فرض في أموال الأغنياء ما يكفي الفقراء، فما جاع فقير إلاّ بما مُتِع به غني والله تعالى سائلهم عن ذلك.

فثمة تفسيرين متعاكسين للدين. فمن الناس من يدعون إلى دين الطقوس والشعائر ولا يبالون بما سوى ذلك. وثمة آخرون يعتبرون الطقوس والشعائر هي الوسيلة للوصول إلى الدين الذي هو العدل والمساواة إلى تقليص الفروق الاقتصادية بين الناس ويُعدون ذلك قوام الدين وأساسه الذي يبنى عليه.

في عهد الخليفة عمر بن الخطاب كان هناك من الصحابة من أسلم بعد أن انتصر الإسلام وانهالت عليه الغنائم فإسلام هؤلاء كان مصطنعاً ظاهرياً في الغالب وقد أراد عمر أن يميز بين هؤلاء وأولئك فقسم المال بحيث تذهب الحصة الكبرى منه في جيوب المؤمنين المخلصين، نسي عمر أن المؤمن

المخلص لا ينال الغنى حتى يضعف إيمانه وأخلاصه وتلك طبيعة غالبة لا ينجو منها إلاّ القليل ممن رحم الله. والظاهر أنه عمر أدرك نتيجة عمله ذاك فقال في أواخر أيامه «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين». وعندما جاء عثمان سار على طريقة عمر في قسمة المال وأضاف إلى قائمة الأغنياء اسماء جديدة. هي أسماء أولئك الصحابة الذين أسلموا بعد الفتح. فقد أعطاهم عثمان قسطاً من المال أكثر مما أعطى المهاجرين والأنصار. عند ذلك نشأت طبقة قوية من أصحاب الغنى الفاحش يسيحون في الأرض ويدأبون في البيع والشراء من غير قيد ولا شرط.

هنا ظهر أبو ذر ـ ذلك الواعظ الثائر الذي أعلن الحرب على الأغنياء بشدة لا تعرف الهوادة كان أبو ذر يجوب الشوراع صائحاً بالأغنياء، أن يوزعوا أموالهم كلها على الفقراء وكان يردد آية خاصة من القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فنهاه عثمان عن ذلك فقا أبو ذر: «أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله..». كان أبو ذر كما قال الدكتور طه حسين: «يكره أن يَعطي الإمام مال المسلمين للأغنياء بغير حقه فيزيدهم غنى ويزيد الفقراء فقراً، يؤْثر بالمال قوماً لا حاجة بهم إليه ويصرف هذا المال عن المصالح العامة. فأبو ذر يعتقد بأن الزكاة وحدها غير كافية. فالزكاة في رأيه نسبة صغيرة لا تنفع الفقراء شيئاً. يجب على الأغنياء في نظره إنه يعطوا الفقراء جميع الأموال التي يكنزونها بحيث لا يبقى منها إلاّ ما يكفيهم معاشهم ومعاش ذويهم. أما عثمان فكان يرى بأن أداء فريضة الزكاة كافية فإن أداها الأغنياء كان لهم الحق في أن يحتفظوا بأموالهم الباقية كلها يتصرفون بها كما يشاؤون. والظاهر أن أبا ذر كان ينطح رأسه في جدار. إن ما كان يطلبه أمر عسير المنال، كيف يرضى الأغنياء وهم كانوا أصحاب الحل والعقد في الدولة أن يتنازلوا عن أموالهم بهذه السهولة. ظل أبو ذر ينادي بمبدئه هذا لا يهدأ ولا يفتر. وقد نفي من أجل ذلك مرتين: مرة إلى الشام ومرة إخرى إلى الربذة حيث مات فيها. إن

أبا ذر كان يريد أن يأخذ فضول أموال الأغنياء فيقسّمها على الفقراء لأنه كان يرى بأن الذين يكنزون الذهب والفضة سيندفعون بتأثير كنزهم هذا نحو الشر أرادوا ذلك أم لم يريدوه. أن الترف الذي يأتي به الذهب والفضة يخلب الأبصار فيمنعها عن تفهم الأمور فهماً معتدلاً. فالمترفون كانوا في مختلف العصور دعاة الظلم والرجعية يقول القرآن الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾.

فالقرآن يصف المترفين هنا بأنهم يكذِّبون الأنبياء دائماً ومعنى ذلك أنهم يقاومون كل تجديد أو تقدم اجتماعي. وهذه طبيعة الغنى والترف. فالغنيُّ المترف لا يحب التجديد إنه سعيد ينال بغناه ما يشتهي.

يبدو أن الأغنياء في أيام عثمان قاوموا أبا ذر كما قاوموا محمداً من قبل. وأحسب أن النبي كان يدرك بثاقب بصره ما سوف يحدث بعده. يروي البخاري في صحيحه عن أبي هريرة إن النبي قال «يرد عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيمنعون عن الحوض ـ فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك.. إنهم ارتدّوا على أعقابهم القهقرى».

فالصحابة كانوا في أيام عثمان يتبعون طريقين متعاكسين: طريق عثمان وطريق أبي ذر. هذا أراد أن يصادر أموال الأغنياء وذاك أراد أن يبقي عليها وينميها وهما طريقان متناقضان لا يمكن التوفيق بينهما. ونحن نعيش في زمن اهتم الناس فيه بهذه المشكلة وأخذوا يعيرونها عناية كبرى. لقد اتفق المفكرون في هذا العصر على أن الغنى الفاحش والفقر المدقع رذيلتان اجتماعيّتان ولا تنهض أمة حديثة وفيها هاتان العورتان.

إن السلطة المطلقة والغنى الموفور يفتحان للإنسان أبواباًمن الرغبات والملذات لا تُفتح بغيرهما. ولا تقع مسؤولية الظلم على عاتق الظالم وحده. إنما تقع أيضاً على عاتق الذين أعطوه المفتاح وسهّلوا له فتح الأبواب. يقول القرآن ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾.

فإذا فسق المترفون في قرية استحق أهل القرية العاقبة كلهم. لأن الظالم لا يستطيع أن يظلم أو يطغى إلا حين لا يرى مانعاً فعلياً يمنعه عن الطغيان. والمجتمع الذي لا يقف بوجه الظلم والطغيان ويقاومه يعتبر فاسقاً ويستحق العقاب.

كان أبو ذر ينهى عن الكنز، ومعنى الكنز باللغة هو المال الذي يفضل عن حاجة الفرد. فكان أبو ذر يرى بأن الفرد المسلم لا يحق له أن يُبقي في حوزته مالاً يزيد عن حاجته. وكان العديد من الصحابة يؤيدون أبا ذر في رأيه هذا ويستندون إلى سُنّة النبي لأنه كان ينهى عن الكنز إتّباعاً لأمر القرآن. ومنهم الإمام علي وأبا ذر وسلمان وعمّار.

فسلمان كان يعتبر الكنز ما يزيد من مال المسلم عن قوت أهله لمدة سنة. وكان يعتبر الفقر المدقع كالغنى الفاحش يؤدي إلى ضعف الإيمان فهو يدخر قوت سنة لكي يكون مطمئناً في إيمانه فلا تدفعه الحاجة نحو الكفر إنه بهذا يريد التوسط بين الفقر والغنى فينال الإيمان الصحيح. قال عليٌّ بن أبي طالب «ما دون أربعة آلاف درهم نفقة وما فوقها كنز». فقد حدّد مبلغاً معيناً ليكون احتياطاً لدى الفرد يأمن به من خطر الحاجة وما عدا ذلك فهو كنز محرَّم يؤدي إلى البطر والطغيان.

يقول علي بن أبي طالب: «ما ضرب الله عباده بسوط أوجع من الفقر». فالفقر مؤلم موجع يُطيّر الإيمان من الرأس، وهذا يشبه ما قاله له أبا ذر «إذا الفقر ذهب إلى بلد قال له الكفر خذني معك» فنحن لا نتوقع إيماناً صحيحاً من معوز. وكذلك لا نتوقعه من صاحب الثروة الفائضة. يقول أبو حنيفة: لا تقبلوا شهادة من ليس في بيته طحين: وأظن أن أبا حنفية أخذ رأيه من أبي ذر وعليّ بن أبي طالب. فالمعوز الذي لا يملك طعاماً في بيته مضطر أن يغش ويكذب ويرواغ ويخادع لكي يدرأ عن نفسه خطر المجاعة التي لا ترحم. يقال عن الإنسان: إنه إذا افتقر سرق وإذا اغتنى فسق. ويروى عن سلمان الفارسي أنه كان

يتصدق بعطائه على الفقراء حالما يخرج إليه من بيت المال ويأكل من عمل يده. ويحكى عنه كان يخزّن في بيته قوت عامه فلما سُئل في ذلك قال أفعل ذلك لكيْ استطيع أن أصلي إلى ربي مطمئناً.

فنحن لا نستطيع أن نجد إيماناً صحيحاً ونفساً مطمئنة في أناس قد عضهم الفقر بنابه أو في أناس قد أبطرهم الغنى وأعماهم الترف والدلال. ويقال عن الإنسان: إنه إذا افتقر سرق وإذا اغتى فسق. فالمسلمون الأوائل عندما استغنوا في أيام عثمان افتقر إزاءهم مسلمون آخرون. فالنبي لم يأت لإغناء فئة قليلة من الناس ـ إنه جاء بالأحرى لهداية الناس جميعاً ورفع الحيف الاجتماعي عنهم ـ فهو قد بُعث رحمة للعالم بأسره.

وقد قال عليّ في خطبته التي افتتح بها خلافته: «أيها الناس. . . ألا لا يقولن رجال منكم غداً ـ قد غرتهم الدنيا فامتلكوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيل واتخذوا الوصائف المرفقة إذا ما منعْتهم ما كانوا يخوضون فيه واصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون: «حرمنا بن أبي طالب حقوقنا» ألا وأي رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله يرى أن الفضل له على سواه بصحبته. فإن الفضل غداً عند الله. وثوابه وأجره على الله. ألا وايما رجل استجاب لله ولرسوله فصدَّق ملتنا ودخل ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله والمال مال الله. يقسم بينكم بالسوية ولا فضل فيه لأحد على أحد وللمتقين عند الله أحسن الجزاء.

لقد انقسم المجتمع الإسلامي أيام الخليفة عثمان بالنظرة إلى العدالة الاجتماعية، منهم الخليفة وأغنياء قريش أوصوا أن على المسلمين أن يؤدوا الزكاة فقط وهم أحرار في أموالهم، وأبا ذر ومن معه أوصوا بأن العدالة الاجتماعية هي إعطاء فضول أموال الأغنياء إلى الفقراء لأن الزكاة وحدها لا تكفي. وفريق صار يدعو إلى الخضوع للسلطان مهما كان ظالماً وفريق آخر يدعو إلى الثورة.

وقد لجأ كل فريق إلى كتاب الله وسنّة رسوله يستند عليهما لتدعيم موقفه في محاربة الفريق الآخر. هذا يقول: إن السلطان واجب الطاعة ويجب الخضوع له مهما كان ظالماً وفريق آخر يدعو إلى الثورة، فالفريق الأول يقول: إن السلطان واجب الطاعة والخروج على الجماعة كفر وذلك يقول: إن النهي عن المنكر واجب وكفاح الظالمين جهاد.

إذا اتباع كتاب الله هو في الإهتداء بذلك المشعل الذي رفعه القرآن في مكافحة الظلمة والطغاة والمترفين. ويقول الفريق الأول «وأطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم». وهم بذلك يأمرون الناس بطاعة السلطان مهما كان ظالماً. إنه القرآن يأمر بإطاعة ثلاث الله ورسوله وأولي الأمر. ولكنهم ينسون طاعة الله ورسوله ويصبون جل اهتمامهم على طاعة أولى الأمر ـ أي طاعة السلاطين ـ إن طاعة الله ورسوله أولى طبعاً من طاعة أولي الأمر. فإذا تناقضت الطاعتان وكان الأمر الأول أجدر بالإتباع من الأمر الثاني. وقد جاء في الحديث الشريف «لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق». وقال الخليفة عمر بن الخطاب من رأى بي إعوجاجاً فليقومه بحد سيفه.

والخليفة الأول أبو بكر الصديق قال عندما بويع: فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، وأطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم.

ويقول عباس العقاد: «انهزم الحسين يوم كربلاء وأصيب هو وذووه من بعده ولكنه ترك الدعوة التي قام بها مُلْك العباسيين والفاطميين، وتعلل بها الناس من الأيوبيين والعثمانيين واستظل بها الملوك والأمراء بين العرب والفرس والهنود. ومَثُلَ للناس في حلة من النور تخشع لها الأبصار. وباء بالفخر الذي لا فخر مثله في تواريخ بني الإنسان، فليس في العالم أسرة أنجبت من الشهداء من أنجبتهم أسرة الحسين عدة وقدرة وذكراً. وحَسْبه إنه وحده في تاريخ هذه الدنيا الشهيد بن الشهيد بعد مرور مئات السنين.



بني أمية



بني أمية

أثار الأمويون النزاع بين قحطان وعدنان من العرب وأشعلوا فيه ناراً لا تخمد وساعدهم في ذلك الشعر. وبهذا حفظ الأمويون التوازن بين العرب حيث جعلوهم لا يتفقون على شيء إلا بما يشاؤونه لهم. وعمل الأمويون كذلك على إثارة قلوب العرب ضد غيرهم من الأقوام. فصارت دولة بني أمية بذلك دولة عربية شعرية لا تفهم الإسلام إلا على أساس قومي بدوي. صار الأعاجم الذين دخلوا الإسلام مؤخراً محتقرين في نظر العرب على عهد بني أمية. وأخذ العرب يطلقون عليهم أسماء مستهجنة كأن يسمونهم «النبيط» و«العلوج» الحمراء» أو الموالي. وانتشر بينهم المثل القائل: «لا يقطع الصلاة إلاَّ ثلاثة: حمار وكلب ومولى». قال معاوية لأصحابه ذات يوم: «إني رأيت هذه العلوج الحمراء وأراها قد قطعت على السلف وكأني انظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان فرأيت أن أقتل شطراً أو أدع شطراً لإقامة السوق وعمارة الطريق فما ترون؟» فمنعه أصحابه من إنجاز هذا المشروع. وبلغ من احتقار العرب للموالي أنهم كانوا لا

يستسيغون أن يركب المولى دابة بحضورهم. يقول الأصفهاني: «إذا أقبل العربي من السوق ومعه شيء فرأى مولى دفعه إليه ليحمله عنه فلا يمتنع ولا السلطان يغير عليه! وكان إذا لقيه راكباً وأراد أن ينزل فعل..» ـ أحمد أمين ضحى الإسلام» ـ لقد أصبحت الدولة الأموية عربية خالصة. والتف العرب حول بني أمية يؤيدونهم بسيوفهم وبهذا دخل الدين الإسلامي في طور جديد ـ هو طور الغرور القومي والفتح والاستعمار.

جاء الإسلام ليقضي على الكسروية والقيصرية فأقام محلها قيصرية أخرى فتلك كانت تستعبد الناس باسم هرمز وهذه تستعبد الناس باسم الله الواحد القهار.

حاول عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد أن يرجع الأمور إلى ما كانت عليه في أيام جده عمر بن الخطاب. وسار في ذلك مسيرة عظيمة. إلاَّ أن المنيّة عاجلته قبل أن يتم ما شرع به.

لو درسنا سياسة عمر بن عبد العزيز لوجدناها تناقض السياسة الأموية في مختلف أصولها. فهو أولا قد منع الشعراء من الوقوف ببابه وأعلن أنه لا يقبل الشعر ولا يقابل الشعراء واعتبر جوائز الشعراء سرقات من بيت مال المسلمين. ثانياً أدنى إليه الفقهاء والزهاد وأبعد عنه الجلاوزة ـ أولئك الذين كانوا يعبدون الله وينهبون عباد الله فقد عزل كل رجل ولغ في دماء المسلمين، وأمر بعزل كل ظالم وإن كان ذا قرابة لأمير المؤمنين. كان الأمويين يفخرون بالحجاج ويعدونه من أبطالهم الأفذاذ وجاء عمر فقال عن الحجّاج «لو إن الأمم تخابثت يوم القيامة فأخرجت كل أمة خبيثها ثم أخرجنا الحجاج لغلبناهم».

ورَدَّ عمر جيوشه في الثغور فعطل الفتوحات التي كادت تخترق أوروبا من الشرق والغرب. فخالف بذلك أسلافه من بني أمية في سياسة الفتوحات، لأنه كان يشهد تلك الفتوحات لم تكن في سبيل الدين. فهي قد ارتدت كلها تطلب

الثروة والسبايا والعبيد وصارت مربحة للأمراء والولاة للسيطرة على البلدان. وكان عمر يعتبر العدل الداخلي أهم من التوسع الخارجي.

كان الأمويون قبل عمر يكرهون أن يدخل الإسلام أحد من أهل الذمة لئلاً تنقص الجزية وقد لجؤوا أخيراً إلى أخذ الجزية من الذين يدخلون الإسلام منهم. فلما جاء عمر بن عبد العزيز منع ذلك وقال: إن الله بعث محمداً داعياً ولم يبعثه جابياً.

وساوى بين العرب والموالي في العطاء. وجاء إليه أهل حمص يشكونه رَوْحاً، أحد أبناء الوليد، إذ كان الوليد قد أقطعه حوانيتهم وكتب له بها صكاً. فأمر عمر أن يضرب عنق رَوْح. فلما رأى السيف مسلّطاً عليه سلم الحوانيت لأصحابها وهو ذليل مقهور. حيث لم ينفعه صك أمير المؤمنين. أنجز عمر بن عبد العزيز هذه الأعمال وأنجز كثيراً غيرها خلال سنتين تقريباً ثم أميت.

لقد جاء محمَّد بدين المساواة والعدل والرحمة بالناس جميعاً، فتحوَّل هذا الدين على أيدي سادة قريش إلى دينٍ للسيطرة والتعالي والاستعباد والتسلط والعصبية.

وقال عمر بن عبد العزيز لمولاه مزاحم: إن أهلي اقطعوني ما لم يكن لي أن آخذه ولا هم أن يعطونيه، وإني قد هممت برده على أربابه قال: فما نصنع بولدك؟ فجرت دموعه وقال: أكلِهم إلى الله. وأخذ أموال أعمامهم وأولادهم وسماها «مظالم» فلما رأى أهله ذلك خافوا على سلطانهم وهو إنما قام بما كان. فإذا خرجت الضياع والأموال من أيديهم ذهبُوا ضياعاً فمشوا إلى عمته فاطمة بنت عبد الملك وشكوه إليها فأتته فقال لها: «إن الله بعث محمداً ﷺ رحمة ولم يبعثه عذاباً إلى الناس كافة».

ولما مات عادت الأمور إلى مجاريها ورافقها رد الفعل فصارت إلى أشد مما كانت عليه قبله، وبالضرر للعمّال، في الاستبداد والعنف، وشددوا في

استخراج الخراج وزادوه. أما الخلفاء فإنهم زادوا انغماساً في الترف وأولهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك. فإنه انقطع إلى اللهو والخمر، وانشغل عن مصالح الدولة بجارياتيْه سلاَّمة وحبّابة وحديثهما مشهور.

كان معاوية يسترضي الرؤساء فجاء وراءهم العامَّة يتهافتون من حيث لا يشعرون ويقال إن معاوية أعطى ذات مرة جماعة من الزعماء كلاً مائة ألف درهم؛ إلاَّ رجلاً واحداً حيث أعطاه سبعين ألفاً. فاحتجَّ الرجل على هذا التفريق وسأل عن السبب فيه فأجابه معاوية قائلاً: «إني اشتريت من القوم دينهم. ووكلتك إلى دينك...».

فقال الرجل: «وأنا فأشتر مني ديني». عند هذا ساواه معاوية بأقرانه وأشتى منه دينه والعياذ بالله.

بعد الخلفاء الراشدين انتقلت الخلافة إلى بني أمية وأولهم معاوية بن أبي سفيان وأصبحت الخلافة في عهد بني أمية سلطنة دنيوية. يحكمها خليفتها بالدهاء والسياسة ويستدني الناس بالإرهاب ويؤيد سلطانه ببذل الأموال. واقتبس معاوية من الروم أسباب البذخ ودواعي الترف وقلّدهم في أبهة الملك وقلّد الروم في لبس الخز والديباج وجعل الخلافة وراثية في نسله فبايع الناس لإبنه يزيد وحمل الناس على بيعته بولاية العهد ناقضاً العهد الذي كان قد وقَّعه مع الإمام الحسن ابن عليّ.

ومن الأسباب التي أيَّدت سلطان بني أمية أنهم كانوا يعوّلون في تأييده على الدهاء والسياسة والحزم ولو كان فيها خَرْق لحرمة الدين أو إهانة لأهله فإنهم قتلوا ابن بنت النبي وضربوا الكعبة بالمنجنيق ولعنوا ابن عم النبي وصهره على المنابر وقتلوا من لم يلعنه. مع إنهم يعلمون أن النبي قال لأهل بيته: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم» واستباحوا مدينة الرسول مع أنهم يعلمون أن الرسول قال: «**لا يكيد أَهل المدينة أحد إلاَّ انماع كما ينماع الملح في الماء**». ومع ذلك نرى بعض شيوخ الإسلام، إسلام سلاطين المغول الذين

دمروا الحضارة الإسلامية وأحالوا نهر دجلة إلى اللونين الأزرق والأحمر وصاروا سلاطين المسلمين. فابن تيميَّة شيخ الإسلام يبرر جرائمهم بالقول (الحسين قتلة لم يجلب فساداً على الأمة «منهاج السنة ١٦٤/ ١» ولم يكن في خروج الحسين مصلحة لا في دين ولا في دنيا «منهاج السنة ٢٤١/ ٢» إن يزيد رغم ما فيه من ظلم وأنه قتل أهل القبلة. وفعل ما فعل يوم الحرَّة من أمور فإنه لا يخرج عليه. لأن من لم يكن مطيعاً لولاة الأمور مات ميتة جاهلية «منهاج السنة ١٣٧/ ١». فالمحذور هو الخروج على السلطان «منهاج السنة ١٤٨/ ١».

وفي حديث عن مسلم «من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء» وقد قال رسول الله «لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء «رواه الحاكم».

فما هو يوم الحرَّة؟ إنه يوم الذي رفعت فيه بني أمية أعلامها على شرف العذارى فعندما أعلن أهل المدينة خروجهم على الخليفة يزيد بن معاوية لأنه كان فظاً يتناول المسكر ويفعل المنكر «شذرات الذهب ـ ابن العماد» وكان فيه إقبال على الشهوات «البداية والنهاية ٢٣٠/٨) ولا فقه له ولا يعرف الزهد ولا الصلاح (أبي الحديد المغربي في شرح النهج) أمر يزيد بتجييش الجيوش وغزو مدينة الرسول يقول ابن حزم (وغزت جيوش يزيد المدينة المنورة فقتل بقايا المهاجرين والأنصار يوم الحرَّة وكان هذا اليوم أكبر مصائب الإسلام وحرماته، لأن أفاضل الصحابة قتلوا جهاراً. وجالت الخيل في مسجد النبي وارثت وبالت في الروضة بين القبر والمنبر وانتهبت المدينة ثلاثة أيام ثم انتقل الجيش بعد ذلك إلى مكة فحوصرت ورُمي البيت بالحجارة «رسائل ابن حزم». وفي الحرَّة كان الجندي يأخذ الرضيع من رجله فيجذبه من أمه ويضرب به الحائط فينثر دماغه على الأرض وأمه تنظر إليه «الإمامة والسياسة ـ ابن قتيبة ٢٠٠».

وبعد الحرَّة ولدت ألف امرأة من غير زوج وإن عدد قتلى المهاجرين والأنصار كان سبعماية ومن غيرهم عشرة آلاف «البداية والنهاية ٢٢١/٨».

وفيهم ثمانون من الذين شهدوا بدراً، أي من الذين انتصروا على قريش أيام الرسول.

خلفاء بني أمية:

قلنا إن معاوية جعل الخلافة وراثية في نسله لكنها لم تتعدَّ أولاده ولم يخلفه منهم إلاَّ يزيد الذي بويع بولاية العهد في حياة أبيه. ولم يحكم إلاَّ بضع سنين ارتكب في أثنائها أموراً كباراً من جملتها مقتل الحسين بن عليّ واستباحة مدينة الرسول وقتل المهاجرين والأنصار. ولما قتل يزيد اختلف الناس على البيعة وكان له ابن اسمه معاوية (الثاني) ولوه وهو لا يرى الخلافة حقاً لهم فأميت بعد قليل، فبايع بنو أمية شيخاً أموياً من غير بيت معاوية اسمه مروان بن الحكم سنة ٦٥هـ؛ وهو «طريد رسول الله». تولى الخلافة بضعة أشهر ومات ثم انحصرت الخلافة في نسله وكل خلفاء بني أمية من ولده أشهرهم عبد الملك بن مروان وقد تولاها من سنة ٦٥ ـ ٨٦هـ. وقال ابن الأثير «وهو أي عبد الملك أول من غدر في الإسلام وأول من نهى عن الأمر بالمعروف، فإنه قال في خطبته بعد قتل ابن الزبير، ولا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلاَّ ضربت عنقه.
ـ ومنهم الوليد بن عبد الملك (سنة ٨٦ ـ ٩٦) وفي أيامه فتحت الأندلس وامتدت فتوحاته من جهة تركستان وبعض جزائر البحر المتوسط واتسعت حال بني أمية في بناء القصور واتخاذ المصانع والضياع.

وقد كان عبد الملك بن مروان من أكثر بني أمية بذلاً للمال في سبيل تأييد سلطانه؛ فإن عامله الحجاج بن يوسف لمّا حاصرا الكعبة وفيها ابن الزبير أمر رجاله أن يرموا الكعبة بالمنجيق فتهيبوا فجاء بكرسيّ وجلس عليه وقال يا أهل الشام قاتلوا على أعطيات عبد الملك، ففعلوا وكثيراً ما كان عبد الملك يرد أذى الأحزاب عنه بالمال. ينثره على الناس فينشغلون به عنه ذلك ما فعله مع رجال عمرو بن سعيد بن الأشدق لما طمع بالشام دونه وخاف عبد الملك على نفسه واحتال في استحضاره إلى ديوانه وقتله غدراً ثم علم أصحابه بمقتله فتجمهروا

حول المجلس، وخاف عبد الملك العاقبة فأمر رَجُلاً أن يرمي رأس عمرو إلى الناس وأخذ ابنه عبد العزيز الأموال وبذرها وجعل يلقيها إليهم فلما رأى الناس الرأس والأموال اشتغلوا بالأموال وتفرَّقوا.

عمر بن عبد العزيز: ومن أشهر خلفاء بني أمية عمر بن عبد العزيز بن مروان، حكم (سنة ٩٩ ـ ١٠١هـ) وكان أقربهم جميعاً إلى سيرة الخلفاء الراشدين، ولعله كان كذلك لقرابته من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأنه ابن حفيدته، فلما تولى الخلافة جعل جدّه عمر قدوته بالزهد والعدل وكان بنو أمية منذ جاهروا بطلب الخلافة فرضوا لعن عليَّ على المنبر فرأى عمر أنَّ ذلك لا يوافق روح الإسلام فأمر بإبطاله ـ ابن الأثير ٢٥١ ٤٤٠ والفخري ١١٠ ـ فلم تقع أعماله هذه موقعاً حسناً لدى بني أمية خصوصاً لأنه منعهم من اقتناء الأملاك، وكان عمر بن الخطاب قد نهاهم عن ذلك فلم يسمعوا فأعاده هو، فخافوا إذا طال حكمه إنه يخرج الخلافة منهم فعجلوا به.

كان عمر بن عبد العزيز يعتبر العدل الداخلي أهم من التوسع الخارجي. وقد منع من سب علي بن أبي طالب في خطب المنابر وفي اللاة وكان أسلافه من بين أمية قد جعلوا هذا السب سُنّه مفروضة. وفد إليه أحد مُوالي عليّ بن أبي طالب وهو خائف لا يستطيع أن يجهر بهويته فقال عمر رافعاً صوته: «أنا مُوالى عليّ.. أَتُكاتمني ولاء علي»! حدَّثني سعيد بن المسيّب عن سعد بن أبي وقَّاص إن النبي قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه».

حاول عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد إنه يُرجع الأمور إلى ما كانت عليه في أيام جده عمر بن الخطاب وسار في ذلك سيرة عظيمة إلاَّ أن المنية عاجلته قبل أن يتم ما شرع به وقد استشهد مسموماً فلو درسنا سياسة عمر عبد العزيز لوجدناها تناقض السياسة الأموية. كان العدل وإسعاد الناس في نظر ابن عبد العزيز أولى من تذهيب المساجد وزخرفتها.

وتولى بعد عمر بن العزيز ابن عمه يزيد بن عبد الملك وكان من أهل اللهو

والطرب فشُغل عن مصالح الدولة بجاريتين أهداهما سلاَّمة والأخرى حبّابة. إلى أن وصلت الخلافة إلى مروان بن محمد بن مروان الملقب بمروان الحمار وفي أيامه خرجت الخلافة سنة ١٣٢هـ من أيدي بني أمية وأبيدوا كما ذاب الملح بالماء ولم يبق منهم إلاَّ شخص واحد استطاع الفرار إلى الأندلس وسُمّي بصقر قريش.

ارسل الأمويون إلى عمر بن عبد العزيز عمته ترجوه أن يتبع سنَّة بني أمية وينزع منه سنَّة جده عمر بن الخطاب، فأبى فلما خرجت من عنده قالت لقومها من بني أمية: «تزوّجون أبيكم عبد العزيز من آل عمر بن الخطاب، فإذا نزعوا إلى النسب جزعتهم. اصبروا له وتصرفوا مغبة أمركم».



الدولة العباسية



الدولة العباسية

طيلة فترة قيام دولة بني أمية كانت الثورات متتابعة باسم الثأر لقتل الحسين من نسلْ الإمام علي بن أبي طالب ومؤيديه ومن سائر بني هاشم. فلما ظهر ضعف بني أمية واضطرابهم هان على الناس الخروج من طاعتهم. ووُفِّق العباسيون يومئذ إلى رجل فارسي من أهل خراسان ذي بطش وبسالة اسمه أبو مسلم الخراساني فأنفذوه في طلب البيعة لهم في خراسان لبعدها عن مركز الخلافة الأموية فوفق إلى ذلك توفيقاً عجيباً فحارب وجاهد حتى أدنى الخلافة من بني العباس وسلمها إلى أبي العباس السفاح أول خلفائهم سنة ١٣٢هـ. وكان مقرُّ السفاح في الأنبار على الفرات غربي بغداد وما زال فيها حتى مات ولم يحكم إلا بضع سنين.

فخلفه أخوه أبو جعفر المنصور ١٣٦ ـ ١٥٧هـ وهو من أعظم رجال الإسلام دهاءً وسياسة وشجاعة. بنى مدينة بغداد وهي أشهر عواصم المسلمين ثمَّ رأى أنَّ لأبي مسلم ميولاً نحو العلويين وبقاءه يجعل بقاء أبو جعفر في

الخلافة في مركز الخطر لأنه أقدر الناس على إخراج الملْكُ من أيدي العباسيين فقتله غيلة، وعذره في ذلك أنه كان عقبة في سبيله فأزالها. وايام المنصور كلها فتوحات وحروب.

وبعد وفاة أبو جعفر المنصور خلفه ابنه محمد الهادي فهارون الرشيد وابنه المأمون وفي ايام الرشيد والمأمون بلغت الدولة أوج مجدها ومعظم سلطانها، وزهت فيها العلوم والمعارف وترجمت الكتب وتفجّرت ينابيع الثروة. وأُطلقت حرية الفكر العلمي والفلسفي والفقهي لأن باب الاجتهاد كان مفتوحاً.

وخلف المأمون المعتصم بالله سنة ٢١٨هـ. واعتمد المعتصم على الجنود المرتزقة وخاصة من الأتراك والديلم والفراعنة وكان ينتقي أحسنهم خلقاً وأقواهم بنية لاستخدامهم في قصوره وكانوا يسمونهم المماليك. وكانوا يدخلون في الإسلام فولاهم الخلفاء كثيراً من مناصب الدولة وأخذوا يرتقون حتى وصلوا إلى أعلى المناصب في الإمارة والجند فأصبحت مقاليد السلطة بأيديهم فآل ذلك إلى ضعف الخلفاء واستبداد العمال في الولايات واستقلالهم.

وبعد أن كانت الدولة قد بلغت أوج مجدها الحضاري في عهدي الرشيد والمأمون بدأت بالانحدار في عهد المعتصم لأنه أقفل باب الاجتهاد في الفقه وفي سائر العلوم وحصر التقليد بأربعة مذاهب التي تتوافق مع مصلحة السلاطين.

استبداد الخدم والجند:

ومما زاد الأمر استفحالاً أن الخدم والأجناد أصبحوا مطلقي الأيدي في قصور الخلفاء يستبدون في أعمالها ويسومون الخلفاء أصناف الإهانة وأنواع العذاب كما فعل جند المغاربة والأتراك في المعتز سنة ٢٥٥هـ. لما خلعوه لأنه قصَّر في عطائهم فبقي بعضهم يلطمه وأدخلوه حجرة في سرداب وأثخنوه ضرباً حتى مات (ابن الأثير).

وبقيت الخلافة العباسية مع ما لحق بها من الذل والضعف في بغداد حتى جاءها التتر من الصين فافتتحوها وقتلوا خليفتها سنة ٦٥٦هـ. وانتقلت البلاد إلى حكم السلاطين المغول أمثال هولاكو وجنكيز خان وتيمورلنك. الذين حوّلوا حياة دجلة إلى اللونين الأزرق والأحمر. ودمروا الحضارة الإسلامية ثم اعتنقوا الإسلام وصاروا سلاطين المسلمين ووجدوا بين علماء الدين من يفتي لهم بما يتوافق مع مصالحهم بأنّ هذه هي السنَّة النبوية. مع أنهم يعلمون أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب جمع ما دوَّنه بعض المحدثين فأحرقه لأنه رأى أن العديد من هذه الأحاديث غير صحيح وقد دسَّها الفريسيون والجاهليون لأهداف خاصة بهم تتناقض مع روح الدين الإسلامي.

كان للدولة العباسية عصران يختلف أحدهما عن الآخر اختلافاً عظيماً: العصر الأول وهو ما يعبَّرون عنه بالعصر الزاهر يمتد من أول نشأة هذه الدولة سنة ١٣٢هـ. إلى آخر أيام المأمون سنة ٢١٨هـ. وفيه بلغت الدولة العباسية قمة مجدها فصنعت التقدم وأنشأت التمدن وفيه أدركت ثروة الدولة الإسلامية أعظم ما بلغت إليه في عصر من العصور.

والعصر الثاني ويعبَّرون عنه بعصر التقهقر أو الاضمحلال يبتدئ بخلافة المعتصم سنة ٢١٨هـ. وينقضي بانقضاء الدولة العباسية من بغداد وفيه تقهقر التمدن الإسلامي وضعفت الدولة حتى انحلّت عراها وانقضت أيامها.

ومنذ المعتصم صار الخلفاء مكروهين وخاصة من العرب فلما جاء نعي المعتصم وتولّى الواثق أنشد دعبل الخزاعي هذين البيتين:

الحمد لله لا صبر ولا جلد — ولا عزاء إذا أهل البلا رقدوا

خليفة مات لم يحزن له أحد — وآخر قام لم يفرح به أحد

لما تولَّى المعتصم سنة ٢١٨هـ واصطنع الأتراك والفراغنة ازداد العرب هواناً في عيون أهل الدولة وأراد المعتصم أن يستغني عن بلاد العرب جميعاً

وكان قد بنى سامراء بقرب بغداد وأقام فيها جنده. وأصبح لفظاً «عربي» مرادفاً لأحقر الأوصاف عندهم. ومن أقوالهم «العربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة واضرب رأسه». وقولهم «لا يفلح أحد من العرب إلا أن يكون معه نبي ينصره الله به».

والخلاصة: إن الجامعة الإسلامية كانت في الراشدين عربية، وكان غرضهم الأول نشر الإسلام في الأرض يدفعهم إلى ذلك اعتقادهم المتين بصدق الرسالة وأن الله يدعوهم إلى ذلك. فلما تولاها بنو أمية استعاضوا عن ذلك الاعتقاد بطلب المال وتحوّل الغرض إلى السلطة الزمنية السياسية وظلت الجامعة العصبية العربية متينة. وفي عصر العباسيين استبدلوا العصبية العربية بالأعاجم واحتاجوا في استخدامهم إلى المال وانخرطوا هم في سلكهم بواسطة الأمَّهات ثم أصبح الأعاجم من الفرس والترك والديلم والصفدُ والفراعنة وغيرهم يتسابقون إلى الاستئثار بالنفوذ بواسطة المال.

مصادر البحث:

التوراة ـ الأناجيل ـ أعمال الرسل. رسائل بولس ـ سفر الرؤيا ـ القرآن الكريم ـ الأحاديث النبوية ـ تاريخ التمدن الإسلامي لجورجي زيدان ـ والمراجعات للإمام شرف الدين. الفارابي المدنية الفاضلة ـ تاريخ حياة الأئمة: هكذا تكلم علي شريعتي. وعاظ السلاطين. لعلي الوردي. والشيخ محمد عبده.

فالعباسيين لم يكونوا يختلفون عن أسلافهم الأمويين من حيث الترف والطغيان أو من حيث السفك والنهي أو من حيث العداء لأئمة أهل البيت. وفي عهد الانطلاق الفكري في عهد المأمون كان هناك خلاف فلسفي بين ثلاثة آراء وهي رأي المعتزلة الذي يقول بالتفويض المطلق للإرادة الإنسانية وبين رأي الأشاعرة الذي تبناه أهل المذاهب الأربعة وهو أن الإنسان مسيَّر فمن قبل أن

يولد كُتب عليه أن يسير في طريق الخير أو طريق الشر وذلك ليس بإرادته وهناك رأي ثالث هو رأي الفرقة العدلية أو الشيعة الإثنا عشرية فيقول أمامهم جعفر الصادق: «لا جبر ولا تفويض بل أمر من أمرين أي بالإرادة الحرة مع الالتزام بالتعاليم الإلهية التي بُعث بها الرسل والأنبياء.

فالمأمون كان مؤيداً لرأي المعتزلة، فاضطر أصحاب الرأي الآخر ولاسيما الأشاعرة وعندما أتى المتوكَّل تبنى رأي الأشاعرة وقضى على المعتزلة.

وفي القرون الثلاثة الأولى للهجرة لم يكن هناك أي خلاف بين السنَّة والشيعة فقد كان أهل الحديث مع الشيعة يدعون للثورة ويؤيدون أصحابها وينشرون فضائل علي بين الناس يثبّتون مبادئه الاجتماعية التي ثار من أجلها هو وأولاده من بعده. ولو درسنا سيرة الأئمة الكبار الذين عاشوا في أواخر العهد الأموي وأوائل العهد العباسي لوجدناهم يتشيعون لعلي ولمبادئه الثورية تشييعاً عجيباً رغم الظروف المثبطة التي اكنت تحيط بهم. فأبو حنيفة الذي يلقب بالإمام الأعظم كان علوي الهوى ثورياً من طراز فذ. يقول الزمخشري «وكان أبو حنيفة يفتي سراً بوجوب نصرة زيد بن علي وحمل الأموال إليه، والخروج معه على النص المسمّي بالخليفة. فإذا جئنا إلى الإمام الشافعي وجدناها أشد من سلطة أبو حنيفة تشيعاً للعلويين وجهراً لهم. وأما مالك بن أنس إمام المدينة المعروف فكان من تلاميذ الإمام العلوي جعفر الصادق وقد ساعد محمداً الحسني في ثورته على المنصور إذ أفتى ببيعته فعاقبه المنصور على ذلك ضرباً بالسياط. وحين نأتي إلى الإمام الرابع أحمد ابن حنبل نجده لا يقل عن السلافة في التشيع لعلي وفي الإشادرة بفضله. ومن يقرأ مسند أحمد بن حنبل نجد فيه من فضائل علي عدداً يفوق ما جاء في غيره من الصحابة. وهو القائل: «ما جاء لأحد من الصحابة من الفضائل ما جاء لعلي». كان العباسيون لا يستحبون ما وجدوا في رجال الدين من ميل للعلويين وتأييدٍ لثوراتهم.

إن العباسيين كانوا من الشيعة الأمراء في ذلك. هذا لكن تشيعهم كان

ينحو منحناً خاصاً بهم فهم يريدون التشيع لأهل البيت، ويقصدون بأهل البيت: العباس وأولاده فالعباس في نظرهم أولى من علي وفاطمة بوراثة النبي.

كان المأمون شديد الولع بمذهب المعتزلة، والمعتزلة قوم يريدون أن يقيموا العقيدة الدينية على أساس العقل والتفكير المنطقي. وقد استخدموا المأمون في نشر مذهبهم بين الناس وبذلوا في ذلك جهوداً طائلة.

وعندما أتى المتوكل أخذ يضطهد المعتزلة اضطهاداً مزرياً. واستقدم المتوكل المحدثين والفقهاء وأجزل عطاءهم وأمرهم بأن يحدثوا الناس بالأحاديث المأثورة التي يريدها وأمر الناس بالتسليم والتقليد. وأمر الشيوخ المحدثين بإظهار السنة والجماعة للأمراء أن المتوكل كان من أظلم الخلفاء ومن أكثرهم عربدة ودناءة وسفكاً وقد أسماه بعض المستشرقين «نيرون القرن». لقد افتتح المتوكل عهداً جديداً في تاريخ الإسلام حيث صار الدين والدولة نظاماً واحداً. وأخذ الدين يؤيد الدولة بقلمه، بينما أخذت الدولة تؤيده بسيفها. ورفع الناس أيديهم بالدعاء هاتفين: «اللهم انصر الدين والدولة». فنزل الدين بذلك ـ ولم ترتفع الدولة.

أما نظرة الشيعة الإمامية عن العلاقة بين الحرية والإلتزام، الجبر والاختيار، فيرجع إلى المبدأ الذي أرساه الإمام جعفر الصادق (ع): لا جبر ولا تفويض، بل الأمر بين الأمرين فإن ذلك يعني بوضوح الحرية المشروطة والاختيار الملتزم، إذ أن الإسلام وهو يطلق حرية الإنسان فإنه يخضعها لضوابط هي ضرورية لممارسة الحرية والإبقاء على معانيها. إن السعادة والشقاء بالنسبة للإنسان هما حصيلة أعماله وجهوده وحصيلة علاقاته الاجتماعية وأن حياة الإنسان نفسها هي المعيار الذي يحكم به الله وليس أي نوع من الانتماءات ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

كما أن المظالم التي يتعرض لها الإنسان والاستغلال الذي يمارس ضده، لا ينبغي السكوت عنها بدعوى أنها مشيئة الله. بل يجب النضال ضد الظلم

والاستغلال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾. والذي يقف بوجه انطلاقة حرية الإنسان المتلزمة هو الجهل والخوف والنفسية والأديان الخرافية التي تنفي إرادة الإنسان وتجعله ملبياً ومتلقياً وخاضعاً ذليلاً.

فالإسلام المثالي بعد الرسول كان خط الإمام عليّ ونهجه الذي تعلمه من رسول الله لأنه مثل في التاريخ الإسلامي وخُط الحفاظ على رسالة الإسلام نقية من شوائب النظام الطبقي والتمايز القومي، والقبلي كما مثل خط العدالة الاجتماعية ومواصلة الثورة الإسلامية. بينما مثلت الخلافة الأموية ومثيلاتها، محاولات رِدّه ارتدت ليأس الإسلام والتسنن «والتسنن الأصيل منها براء» إنها محاولات ردة للانتماءات القبلية والعائلية، كما أنها مثلت التراجع نحو السلطنة ونظام الاستقلال والامتيازات.

التشيع الصفوي:

ليس كل من قال أنا من شيعة الإمام علي ومن محبي علي بن أبي طالب وأهل البيت دون أن يسير على نهجه هو من شيعته. فالإيمان بدون العمل الصالح لا قيمة له والعمل الصالح هو الممارسة الاجتماعية وهو العمل الذي يُبذل من أجل الناس لمنفعة الناس والشعور بالمسؤولية عن الناس كما يقول الحديث الشريف (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) والحديث الآخر الذي يقول: (الناس كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله) ـ أي لعيال الله ـ الذين هم الناس والذين هم خليفة الله على الأرض.

فالإمام الذي جاهد مع الرسول بسيفه ثلاثة وعشرون عاماً لأجل الإيمان بالإسلام ثائراً على الظلم والجور الذي كان يمارسه استقراطيِّ قريش. والإمام الذي سكت عن حقه بالخلافة طيلة ٢٥ عاماً حفاظاً على الوحدة الإسلامية. والذي قام ثائراً طيلة خمس سنوات بوجه ارستقراطيّ قريش الذين حوّلوا الدين إلى دين ظلم وجور واستئثار بدلاً من الهدف الذي بُعث لأجله وهو دين الرحمة للعالمين.

دين الأخوّة الإنسانية ـ دين السلام والعدل والعدالة.

هناك العديد من الحركات والسلطنات التي قامت عبر التاريخ مدعية أنها شيعة علي بن أبي طالب هل سارت على نهجه هل عملت على تحقيق أهداف الدين بالعدالة الاجتماعية وبالوحدة الإسلامية وهل وقفت بوجه الظلم والجور أم هي مارسته. فنستطيع الحكم على نهج الحكم الذي مارسته الدولة الفاطمية ونحكم هل كان قائماً على النهج الذي مارسه الإمام علي والذي تعلمه من مدينة العلم التي هي رسول الله. وهل الدولة الصفوية التي مارست الظلم والجور والتعصب المذهبي المتبادل مع الدولة العثمانية المعاصرة لها. علوية بالفعل. هل سارت على نهج الإمام علي والأئمة البررة من أبنائه.

إن كنت من شيعة الإمام علي فعليك أن تعرف أن الجهاد هو التجسيد العملي للإيمان وهو أرقى تعبير عن الإيمان. فالشهيد يخوض الجهاد من أجل ما يؤمن به يضحي بحياته من أجل بناء الحياة. فالشهادة هي أعظم فعل يقوم به الإنسان في سبيل انتصار رسالة الله. وعليك أن تقف في ساحة الكفاح الدائر بين الحق والباطل وتتخذ موقفاً صحيحاً من ذلك الصراع. عندها تكون من شيعة الإمام علي تلميذ الرسول الأكرم. فالصلاة هي الوسيلة لخير العمل وللجهاد. فإذا لم تؤدي إلى خير العمل وإلى الجهاد فلا قيمة لها. إن كنت إنساناً وبي شيء من روح الله فكيف لا أغضب إذا أسيء لإنسان ولو في جزر الواق الواق.

إن الشيعة الإمامية لا يعتقدون بالجبر والقضاء والقدر لأن هذا الاعتقاد يقود الإنسان إلى الاستسلام وإلى نفي إرادته أمام قوى ما وراء الطبيعة. والإسلام لايبرز الفقر بل يبرز ضرورة العدالة والكفاح ضد الجوع وضد الظلم. ومن أجل هذا الهدف ضحَّى خيرة الصحابة والمسلمين الأوائل بحياتهم. والاعتقاد بالجبر والقضاء والقدر يؤدي إلى ترك المسؤوليات جميعاً إلى الله، بينما يبقى الإنسان نفسه عاجزاً غير قادر على التصدي لمسؤوليات الحياة. وأن بعض المتدينين يعتقدون بأن المصائر جميعاً ترتبط بالأقدار وبما كتب على جبين

الإنسان من قبل ما وراء الطبيعة وأن المرء لا يسعه التأثير على مصيره ومصائر الآخرين وكل شخص يتصرف كما كتب عليه وقُدر له. كيف يمكن وصف الإسلام هكذا وأمامنا سيرة علي ولو كان الإسلام هكذا لكان على عليٍّ أن يسكت على الفقر ويبرره ويمثل الضعف والتخاذل وعدم الشعور بالمسؤولية في المجتمع. لكن علياً كان غير ذلك. كان يرمز للعدالة والحرية ويمثل مبادئ كان يشعر بمسؤوليته الإنسانية ويكافح بقوّة ومرارة من أجلها.





الإصلاح الديني

الشيخ محمد عبده





الإصلاح الديني
الشيخ محمد عبده

يقول رائد الإصلاح الديني الإسلامي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الشيخ الإمام محمد عبده «يجب تحرير الفكر من قيد التقليد» وفهم الدين على طريقة سلف هذه الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى والنظر إلى العقل باعتباره قوة من أفضل القوى الإنسانية بل هي أفضلها على الحقيقة».

لقد تصدى الإمام محمد عبده لتيار الجمود القابع في رحاب فكرية العصور المملوكية العثمانية المظلمة. فأهل الجمود من طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم قد أضفوا قداسة الدين على فكر العصور المظلمة فمنعوا التفكير فيه والاجتهاد في قضاياه ومن ثم أصبح التقليد والانقياد حائلاً دون مجرّد التفكير في التجديد! وَحَول هذه القضية يتحدث الأستاذ الإمام فيقول: إن الفكر إنما يكون فكراً له وجود صحيح إذا كان مطلقاً مستقلاً يجري في مجراه الذي وضعه الله عليه إلى أن يصل إلى غايته وأما الفكر المقيد بالعادات المستعبد بالتقليد فهو

المرذول الذي لا شأن له وكأنه لا وجود له، وقد جاء الإسلام ليعتق الأفكار من رقها ويحلها من عقالها ويخرجها من ذل الأسر والعبودية. وقد حدد هدفه من الإصلاح الديني عندما قال عنه إنه يعني: «تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف هذه الأمة» قبل ظهور الخلاف والرجوع في كشف معارفه إلى ينابيعها الأولى واعتباره ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وخبطه لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني وإنه على هذا الوجه يُعد صديقاً للعلم باعثاً على البحث في أسرار الكون داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة مطالباً بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل.

فالإسلام عند الأستاذ الإمام، دين عقلاني أي أن العقل حاكم وسيّد حتى في جوانبه الدينية وذلك فضلاً عن جوانبه الحضارية «فالعقل في الإسلام هو الميزان القسط الذي توزن به الخواطر والمدركات ويميز بين أنواع التصورات والتصديقات فمتى رجحت فيه كفة الحقائق طاشت كفة الأوهام وسهل التمييز بين الوسوسة والإلهام». وهذا الميزان القسط صالح للعمل والاستعمال في الدين كما هو صالح في الدنيا.. ذلك أن عماد عقائد الإسلام هما:

أ ـ الألوهية ولا سبيل للتصديق بها بالنصوص لأن حجية النصوص مترتبة على التصديق بالرسالة والتصديق بالرسالة مترتب على التصديق بوجود الإلّه المُرسِل للرسول فلا بد من سبيل للإيمان بالألوهية أولاً وقبل النصوص ولا سبيل هنا غير العقل.

ب ـ ورسالة محمد ونبوته ﷺ. والسبيل للتصديق بها هو معجزته، القرآن ومحال أن يدرك الإنسان إعجاز القرآن إلاَّ إذا عرضه على العقل فهو وحي ونقل ولكن للعقل فيه مكاناً أي مكان وهكذا بُني الإسلام كدين على العقل ووُزن هو الآخر بهذا الميزان القسط الذي توزن به الخواطر والمدركات.

فالإسلام في الدعوة الأولى للإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء

سوى الدليل العقلي وقد اتفق المسلمون على أن الاعتقاد بالله مقدّم على الاعتقاد بالنبوات وإنه لا يمكن الإيمان بالرسل إلا بعد الإيمان بالله. فإنه لا يعقل أن تؤمن بكتاب أنزله الله إلا إذا صدقت قبل ذلك بوجود الله. وبأنه يجوز أن ينزل كتاباً ويرسل رسلاً. وقال المسلمون كذلك أن أول واجب يلزم المكلف أن يأتي به هو النظر والفكر لتحصيل الاعتقاد بالله لينتقل منه إلى تحصيل الإيمان بالرسل وما أنزل عليهم من الكتاب والحكمة.

وأما الدعوة الثانية ـ التصديق بمحمّد فهي التي يحتج فيها الإسلام بخارق العادة وهذا الخارق للعادة هو القرآن وحده وما عداه مما ورد في الأخبار. وهذا القرآن قد دعا الناس إلى النظر فيه بعقولهم فهي معجزة عُرضت على العقل وأطلقت له حق النظر في أنمائها. وهذا الموقف الذي تميَّز به الإسلام في الموقف من العقل ذلك الميزان القسط قد ميَّز الإسلام وحضارته عن الديانات الأخرى وما بلورت من حضارات، فعلى حين قام العداء بين الدين والعقل في تلك الحضارات ولاهوت تلك الديانات وجدنا الإسلام يذهب لما هو أبعد من المؤاخاة بين العقل والدين إلى حيث دعا العقل واستحثه على النظر في مناحي الكون وأصول الدين. فأهل الكتاب كانوا متفقين في تقاليدهم وسيرتهم العملية على أن العقل والدين ضدان لا يجتمعان والعلم والدين خصمان لا يتفقان وأن جميع ما يستنتجه العقل خارجاً عن نص الكتاب فهو باطل. ولذلك جاء القرآن يلح أشد الإلحاح بالنظر العقلي والتفكّر والتدبّر والتذكر. فلا تقرأ منه قليلاً إلا وتراه يعرض عليك الأكوان ويأمرك بالنظر فيها واستخراج اسرارها واستجلاء حكم اتفاقها واختلافها ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ١٠١] ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٌ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦] ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾ [العنكبوت: ٢٠]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ومن فوائد الحث على النظر في الخليقة للوقوف على أسرارها واستخراج علومها لترقية النوع الإنساني.

وأغلب الذين اتخذوا الموقف السلفي قد أعلو من قدر النصوص المأثورة

عن الأولين على قدر العقل بينما الأستاذ الإمام أعلى من قدر العقل واعترف له بمكانه الممتاز بين القوى الإنسانية المختلفة وقد ميّز الإمام بين ما هو متواتر لا يرقى إليه الشك مثل القرآن الكريم وبين ما جاءنا بواسطة رواة لا نستطيع التأكيد من صدقهم وأسانيد لا نملك التحقق من سلامتها ووفائها بالمطلوب فهو يدعو إلى سلفية تعود بنا إلى ينابيع الدين النقية ونصوصه البكر وحقائقه الجوهرية. وهو يدعو إلى أن ننظر في هذه المنابع الأولى بملكة العقل العصري المستنير وأن نسقط لذلك أساطير الأولين وأن نرفض بعد ذلك كل ما يتعارض مع معطيات العقل المستنير بعد نظره وبحثه فيما هو جوهري وبكر ونقي من عقائد الإسلام كما جاء بها كتابه الكريم.

المجدّدون النصوصيون:

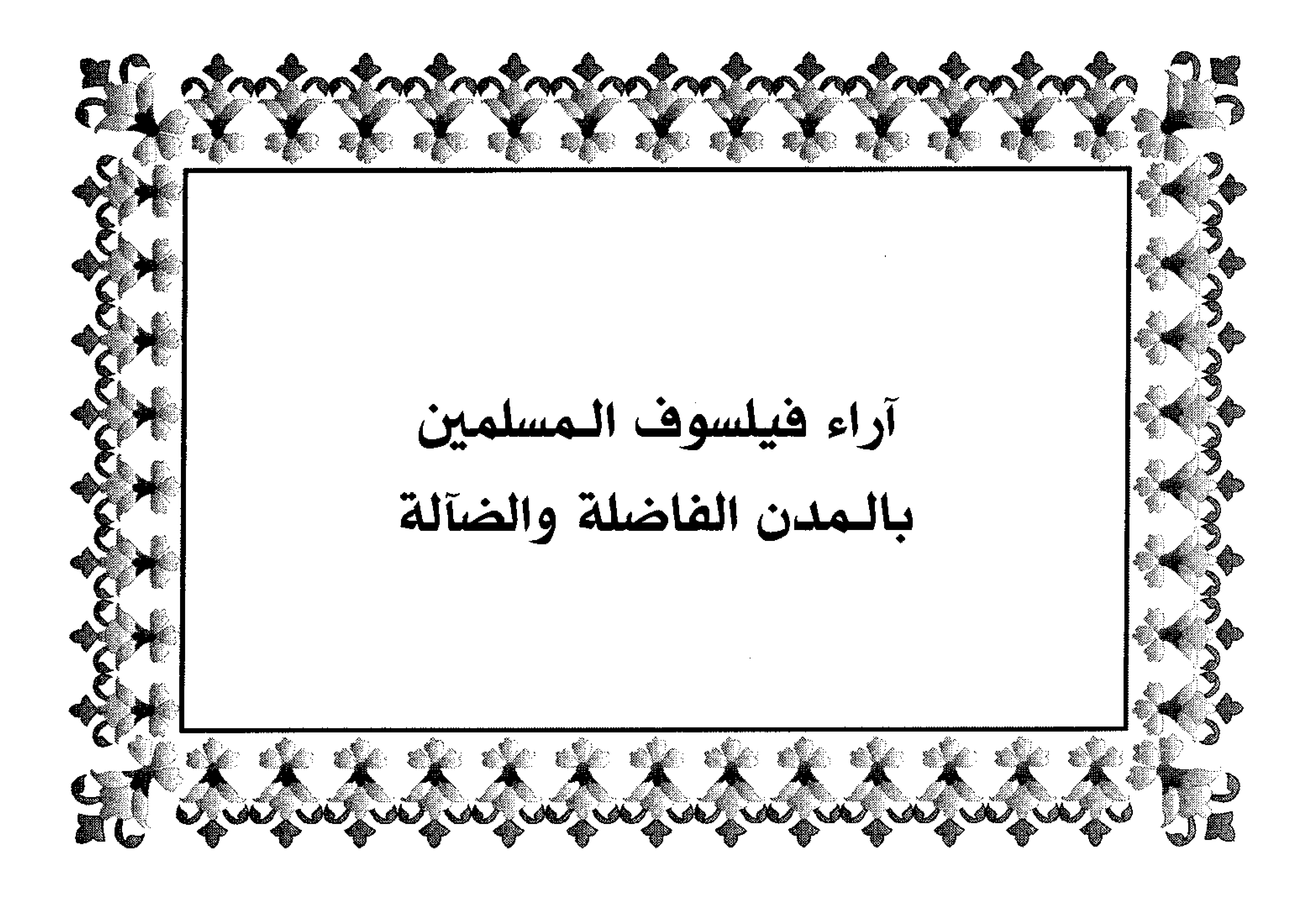
الذين سبقوا بتجديدهم مدرسة الأفغاني ومحمد عبده لم يكن تجديدهم كافياً ولا ناجحاً في نظر الأستاذ الإمام فهم قد عادوا إلى نصوص الإسلام الأولى والنقية فاتخذوها دليلاً على غربة البدع والخرافات والإضافات عن عقائد الإسلام وشعائره ولكنهم لنشأتهم البدوية في مجتمعات بدوية بسيطة قد وقفوا عند ظواهر هذه النصوص والتزموا المذهب السلفي النصوصي ـ مذهب أهل الحديث واتباع الإمام أحمد بن حنبل (٧٨٠ ـ ٨٥٥م) المناهض للتأويل والرافض لإعمال العقل في علوم الشرع والدين وكانت «الحركة الوهابية» نموذجاً لهذا اللون من التجديد المنقوص الذي انتقده الأستاذ الإمام فتحدَّث عن أصحابه قائلاً. إن هذه الفئة أضيق أفقاً وأحرج صدراً من المقلدين وهي وإن أنكرت الكثير من البدع ونحَّت عن الدين كثيراً مما أضيف إليه وليس منه فإنها ترى وجوب الأخذ بما يفهم من لفظ الوارد والتقيَّد به بدون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها الدين وإليها كانت الدعوة ولأجلها منحت النبوّة فلم يكونوا للعلم أولياء ولا للمدنيّة أحباء.

أدعياء السلطة الدينية:

أولئك الذين انقادوا بالتقليد إلى كهانة الديانات الأخرى فادعوا لأنفسهم

سلطاناً دينياً لم يجعله الإسلام لغير الله ثم استخدموا هذا السلطان في تجريد الأمة من حقها في النظر والاجتهاد والتجديد فأضفوا القداسة على غير المقدسات بل وعلى ما ترفضه المقدسات. وقد انتقد «الرئاسات الدينية التي زعمت لنفسها ذلك السلطان فقهاء كانوا أم من المتصوفين فهو يجاهد لتحرير العقل والعقلاء من سلطان هؤلاء الوسطاء لأن الإسلام يرفض الوساطة بين الإنسان وخالقه ومن ثمَّ ينكر إضفاء القدسية او ما هو من جنسها على أي إنسان «فالإيمان بالله يرفع النفوس عن الخضوع والاستعباد للرؤساء الذين استذلوا البشر بالسلطة الدينية وهي دعوى القداسة والوساطة عند الله ودعوة التشريع والقول على الله بدون إذن الله أو السلطة الدنيوية وهي سلطة الملك والاستبداد فإن العبودية لغير الله تهبط بالبشر إلى دركة الحيوان المسخَّر. وحق على الإنسان أن لا يرضى لنفسه أن يكون عبداً ذليلاً لبشر مثله للقب ديني أو دنيوي، وقد أعزه الله بالإيمان وإنما أئمة الدين عنده مبلغون لما شرّع الله وأئمة الدنيا منفذون لأحكام الله. وإنما الخضوع الديني لله ولشرعه لا لشخوصهم وألقابهم.





المدينة الفاضلة:

استهل الفارابي كلامه على السياسة في كتاب «أهل المدينة الفاضلة» بالتأكيد على أن كل واحد من الناس مفطور على الاحتياج إلى أمور كثيرة لا يمكن أن يقوم بها كلها وحده بل يحتاج إلى قوم كثيرين يُوزَّع العمل فيما بينهم فيجتمع لكل واحد منهم جميع ما يحتاج إليه. ولذلك كان الاجتماع الإنساني ضرورة طبيعية لأجل بلوغ الكمال الإنساني.

فالواقع الأول إلى الاجتماع هو دافع غريزي طبيعي ينبثق من الحاجات المادية الملحة ثم يتخطاها إلى الحاجات الإنسانية العالية وهي حاجات روحية وعقلية. والرباط الاجتماعي يقوم على التعاون الإرادي لأجل بلوغ الكمال الإنساني النهائي. وأما غاية الاجتماع فهي السعادة الحقيقية التي تحصل ببلوغ الكمال الحقيقي. وقد أكد الفارابي مراراً على أن السعادة هي هدفنا الأخير وأنها

لا يمكن أن تتحقق إلا في اجتماع كامل فاضل أي بتعاون الناس وباشتراكهم في حياة منظمة تنظيماً مثالياً.

إن الخير الأفضل والكمال الأقصى إنما يُنال أولاً بالمدينة لا باجتماع أنقص منها. وهذا يعني أن الاجتماع الكامل وحده يمكن أن يكون اجتماعاً فاضلاً غير أن كل اجتماع كامل ليس اجتماعاً فاضلاً بالضرورة لأن شأن الخير أن يكون بالإرادة والاختيار. وكذلك الشر يكون بالإرادة والاختيار.

من هنا كانت ميزة المدينة الفاضلة بأنها المدينة التي يُقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تُنال بها السعادة في الحقيقة. والأمَّة تكون فاضلة إذا تعاونت مدنها كلها على ما به السعادة الحقيقية، كما تكون المعمورة بأسرها فاضلة إذا تعاونت الأمم التي فيها على بلوغ السعادة الحقيقية.

حدّد الفارابي في كلامه على المرتبة الفاضلة هدف الاجتماع الإنساني بأنه التعاون الكامل على بلوغ السعادة الحقيقية. غير أن أهل المدن الجاهلة والضالة يرون الاجتماع الإنساني نشأ على أسس أخرى غير أسس التعاون على بلوغ السعادة الحقيقية. ومن آرائهم هذه تتفرَّع مسائل عديدة لها ارتباط بالعدالة الاجتماعية وبعلاقات الدولة بالدولة والفرد بالفرد والدولة بالفرد وكل ذلك يتتبع سلوكاً غير السلوك الفاضل ولنعرض بإيجاز بعض هذه النظريات:

النظرية الطبيعية:

هي من يدعون أن سُنَّة الطبيعة هي سُنَّة تنازع البقاء التي نلاحظها في النبات والحيوان وفي المجتمعات الإنسانية أيضاً. فالتعاون ليس طبيعياً وكذلك الاجتماع. غير أن الإنسان رأى أن يستعبد غيره عوضاً من أن يقضي عليه فصار الإنسان الأقهر لكل من يناوئه هو الأسعد. وهذا ما يسميه الفارابي الداء السبعي (من السباع) من آراء الإنسانية.

نظرية التسلط أو الداء السبعي:

وآخرون رأوا أن الحاجة إلى الاجتماع أمر طبيعي ولكنهم وضعوا أن ذلك لا يكون إلا بالقهر، أعني أن يكون الذي يحتاج إلى مؤازرين يقهر قوماً فيستعبدهم ثم ليقهر بهم آخرين فيستعبدهم أيضاً فإذا اجتمعوا له صيّرهم آلات يستعملهم في ما فيه هواه.

نظرية العصبية:

يرى أصحاب هذه النظرية أن التعاون الطبيعي لا يكون إلاّ بين ذوي القربى وأهل الأرحام. ولذلك قالوا أن الاجتماع هو الذي يقتصر على السلالة الواحدة وكلما كانت درجة القربى أوثق كان التعاون أشد إلى أن يبلغ من العموم والبعد إلى حيث ينقطع الارتباط أصلاع ويكون تنافراً.

وقد أنهى الفارابي كلامه على آراء أهل المدينة الجاهلة والضالة. بقرض سريع لما يقوله في الله تعالى والنفس الإنسانية والخشوع والفضيلة الأخلاقية. وجعل هذه النظريات نتيجة طبيعية لتلك المعتقدات الفاسدة التي جعلتهم يعتقدون أن هذا الوجود المحسوس هو كل الوجود وأن غاية الإنسان الأخيرة لا تتعدى السعادة الحسية. وهذا كله تنكُّر للفلسفة وللدين ورجوع إلى الحياة البهيمية. «وما أشقانا إذا طغت علينا المادة فخلت حياتنا من مشاغل الروح». ويرى الفارابي أنه لا يصح التعاون أن يصدر عن عوامل طبيعية وحسب كالوحدة الجغرافية أو وحدة اللغة أو وحدة العنصر. فكل هذا يؤدي في رأيه إلى نشوء مجتمعات فاسدة لأنها في أساسها الأول تخلّت عن الطابع الإنساني القائم على الوعي الإرادي الاختياري واستسلمت كالبهيمة للعوامل الطبيعية والغريزية.

وقد حدَّد الفارابي أهداف التعاون الإنساني عندما قسَّم الحاجات الإنسانية الطبيعية قسمين كبيرين: حاجات مادية وحاجات عقلية وروحية. فالفارابي يرى

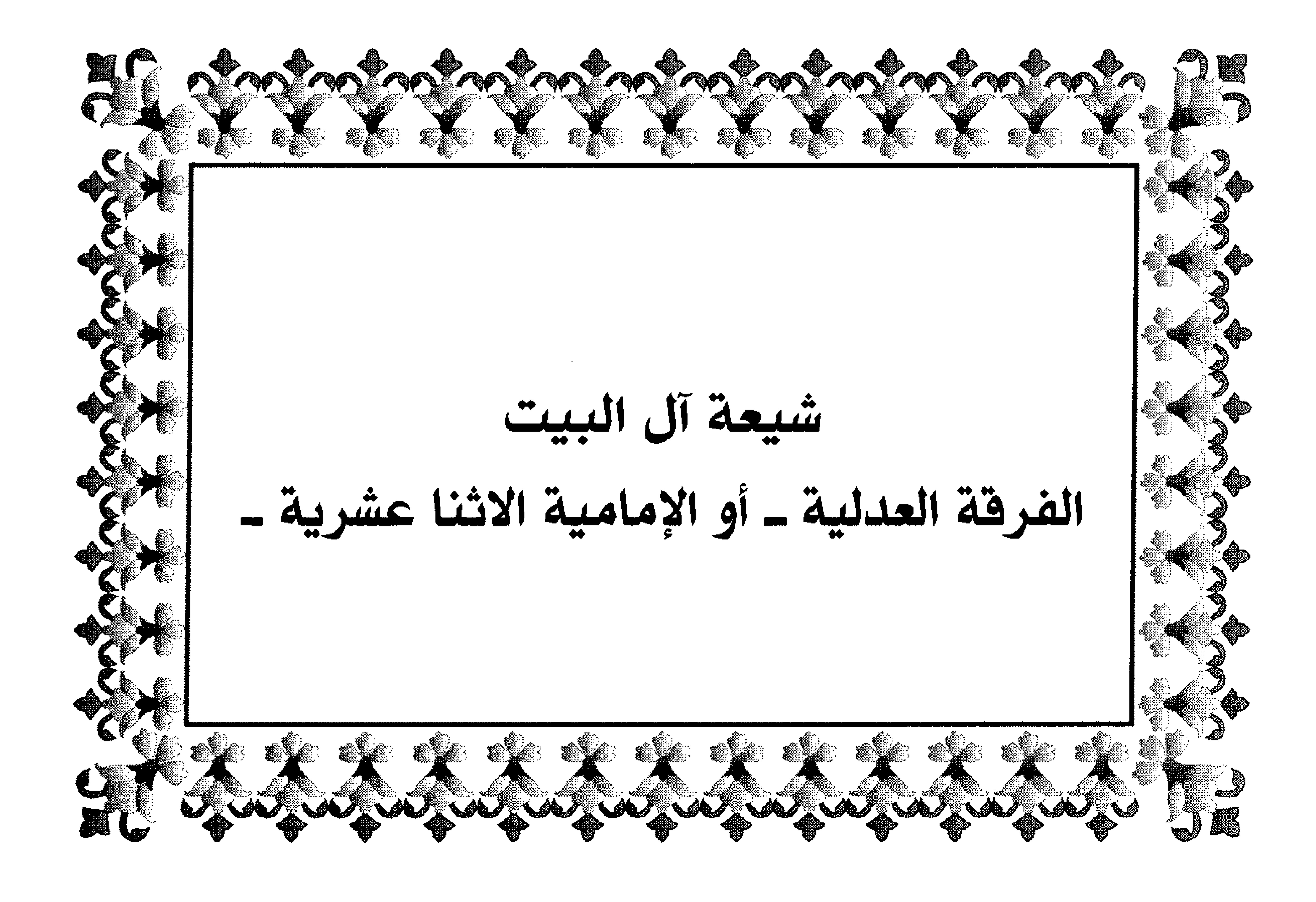
فساد أهل المدن الجاهلة والضالة؛ فإذا نظرنا إلى طبيعة الرباط الاجتماعي في هذه المدن تبيّنت لنا وجوه الفساد فيها. فهي فاسدة لكونها تنتهي دائماً إلى الصراع لا إلى التعاون. فإما أن يكون الصراع بين الأفراد في المجتمع الواحد وإما أن يكون صراعاً بين المجتمعات المختلفة. وواضح أنَّ السعادة الحقيقية لا تكون في الصراع والفوضى بل في التعاون والنظام.



شيعة آل البيت

الفرقة العدلية

ـ أو الإمامية الاثنا عشرية ـ



شيعة آل البيت
الفرقة العدلية ـ أو الإمامية الاثنا عشرية ـ

عندهم أن الإمامة أصل من أصول الدين الإسلامي وهي رئاسة وولاية عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن الرسول المختار. فمستحقها يُعهد إليه الإمامة والخلافة والوصاية والولاية. بنصٍ جلي من الله ورسوله الأكرم لحفظ الشريعة وبقائها وديمومتها ونشرها وترويجها وبثها. ويعتقدون بوجوبها عقلاً، إذ الوجدان السليم والعلم البديهي يقضي بأن العقلاء متى كان لهم أمير ورئيس يصدَّهم عن الانحراف والضلال والظلم والجور ويمنعهم عن المعاصي والذنوب والفساد ويحثهم على فعل الطاعات والعدل والإحسان ويحرّضهم على التناصف والتعاون والعدالة الاجتماعية فمتى كان لهم رئيس يهديهم إلى الصراط المستقيم ويبشرهم بالخير ويحذرهم من الشر ويقولون بوجوب إرسال الرسل وإنزال الكتب والعدل الإلهي وكثير من المسائل والمفاهيم العقائدية الإسلامية. فكما أن النبوة واجبة على الله تعالى بالأدلة العقلية والنقلية في الحكمة الإلهية القدسية فكذلك الإمامة.

وعلى الله ورسوله أن ينصِّب الإمام إذ لا بد أن يكون الإمام معصوماً كما كان النبي. كما يجب في النبي والإمام المعصومين كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي وعدم السهو والغفلة؛ فهو أفضل زمانه يجمع الصفات الحميدة ومكارم الأخلاق على نحو أتم وأكمل فهو أفضل الرعية ولا ينال عهد الإمامة من كان ظالماً.

«الإمام زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز الإسلام وأساسه وفرعه السامي وبالإمامة تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وأمر الإمامة من تمام الدين». وقد تمثلت الإمامة والخلافة الحقة من بعد النبي الأعظم محمد (ص) في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الأحد عشر من ولده؛ وذلك للنص المتواتر من النبي ولأنهم أفضل أهل زمانهم ولعصمتهم وظهور الكرامات والمعاجز على أيديهم.

وأن الشيعة الإمامية تأخذ بمنهج العقل كأحد الأدلة على الحكم الشرعي كما تأخذ بمنهج النقل الذي يشترط في قبول النقل شروطاً مهمة أهمها.

أ ـ الشهادة بوثاقة الراوي بواسطة العلماء المعاصرين للرواة أو القريبي العهد بهم بحيث تكون بالوثاقة أو بغيرها حسية.

ب ـ عدم مصادمة الخبر للقرآن الكريم وللسنة المحمدية الثابتة بالتواتر.

ج ـ عدم مصادمة الخبر للعقل.

وبهذا المنهج تختلف الشيعة عن السلفيين الذين يعتمدون على خصوص النصوص النقلية التي دخلتها أيدي التحريف والوضع فوضعت الخرافات والأوهام والإسرائيليات وبهذا المنهج الشيعي يتمكن الباحث في الروايات من تمييز الروايات الصحيحة عن السقيمة أو المقبولة عقلاً عن غيرها.

وإذا أردنا أن نعرف الفرق بين مذهب الشيعة الإمامية وسائر المذاهب

الإسلامية فلنقرأ الحوار بقلب مفتوح وبعيد عن العصبية بين قطبين من أقطاب السنة والشيعة هما الإمام شرف الدين وشيخ الأزهر سليم البشري.

المراجعة رقم واحد:

وهي تحية واستئذان في المناظرة من الشيخ سليم البشري. بعد التحية والمجاملة يقول: كنت أسمع أن من رأيكم ـ معشر الشيعة ـ مجانبة إخوانكم ـ أهل السنة ـ وانقباضكم عنهم وتخلدون إلى العزلة والبُعد. لكني رأيت فيك شخصاً رقيق المناقشة دقيق المباحثة شهي المجاملة قوي المجادلة لطيف المفاكهة مبرور المنافسة؛ فإذا الشيعي ريحانة الجليس ومنية كل أديب.

فإن أذنت لي إطلاعك على دقائق وغوامض تحوك في صدري منذ أمد بعيد وإلاّ فالأمر إليك وما أنا فيما أرفعه بباحث عن عثرة أو متتبع عورة وإنما أنا نشّاد ضالة وبحّاث عن حقيقة فإن تبيَّن الحق فإن الحق أحق أن يتّبع وإلاَّ كما قال القائل: نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف وسأقتصر إن أذنت في مراجعتي إياك على بحثين؛ أحدهما في إمامة المذهب أصولاً وفروعاً وثانيهما في الإمامة العامة وهي الخلافة عن رسول الله (ص). وفي الكتاب ١١٢ مراجعة. البحث الأول: في إمامة المذهب. والسؤال من الشيخ البشري:

١ ـ لِمَ لا تأخذ الشيعة بمذاهب الجمهور.

٢ ـ الحاجة إلى الاجتماع.

٣ ـ لا يلم الشعث إلا بمذاهب الجمهور.

١ ـ إنما أسألك الآن عن السبب في عدم أخذكم بمذاهب الجمهور من المسلمين أعني مذهب الأشعري في أصول الدين والمذاهب الأربعة في الفروع.

وقد دان بها السلف الصالح ورواها أعدل المذاهب وأفضلها واتفقوا على التعبُّد بها في كل عصر ومصر وأجمعوا على عدالة أربابها واجتهادهم وأمانتهم وورعهم وزهدهم وحُسن سيرتهم وعلو قدرهم علماً وعملاً.

٢ ـ وما أشد حاجتنا اليوم إلى وصل حبل الشمل ونظم عقد الاجتماع بأخذكم بتلك المذاهب تبعاً للرأي العام الإسلامي.

٣ ـ فهل تجدون غير الذي قلناه هداكم الله إلى لم الشعث سبيلاً.

جواب السؤال الأول من الإمام شرف الدين:

١ ـ الأدلة الشرعية تفرض مذهب أهل البيت.

٢ ـ لا دليل على وجوب الأخذ بمذاهب الجمهور.

٣ ـ أهل القرون الثلاثة الأولى يعرفونها.

٤ ـ الاجتهاد ممكن.

٥ ـ يُلم الشعث باحترام مذهب أهل البيت.

لا دليل للجمهور على رجحان شيء من مذاهبهم فضلاً عن وجوبها. ولكنكم تعلمون أن الاجتهاد والأمانة والعدالة غير محصورة بهم فكيف يمكن والحال هذه أن تكون مذاهبهم واجبة على سبيل التعيين. وما أظن أحداً يجرؤ على القول بتفضيلهم ـ في علم أو عمل ـ على أئمتنا وهم أئمة العترة الطاهرة وسفن نجاة الأمة وأعلام هدايتها وثقل رسول الله وبقيته في أمته. وقد قال (ص): فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم. لكنها السياسة وما أدراك ما اقتضت في صدر الإسلام. على أن أهل القرون الثلاثة مطلقاً لم يدينوا بشيء من تلك المذاهب أصلاً وأين كانت تلك المذاهب عن القرون الثلاثة وهي خير القرون ـ وقد وُلد الأشعري سنة سبعين ومائتين ومات سنة نيف وثلاثين وثلثماية. والشيعة يدينون بمذهب الأئمة من أهل البيت وغير الشيعة يعملون بمذاهب العلماء من الصحابة والتابعين فما الذي أوجب على المسلمين كافة بعد القرون الثلاثة تلك المذاهب دون غيرها من المذاهب التي كان معمولاً بها من ذي قبل. وما الذي أرتج باب الاجتهاد في وجوه المسلمين بعد أن كان في القرون الثلاثة مفتوحاً على مصراعيه.

العدلية: حياة وأعمال الأئمة الإثنا عشر

حياة الإمام أمير المؤمنين علي (ع)

علي بن أبي طالب (ع) هو أوَّل إمام من أئمة عالم الإسلام وهو الذي نُصِب إماماً وخليفة يوم الغدير وأوكلت إليه قيادة المجتمع الإسلامي بعد وفاة النبي (ص) وُلد الإمام علي (ع) قبل البعثة بعشر سنين وقد أخذه رسول الله (ص) إلى بيته وتولى تربيته ولم يمض على عمره خمس سنوات فمنذ الصِغَر كان الإمام علي مع النبي (ص) وبعد البعثة كان يشارك النبي في الصلاة والعبادات وكان أول من آمن بالنبي (ص) هو الإمام علي (ع) وكان كاتباً للوحي خلال ثلاثة عشر عاماً من تواجده إلى جانب النبي (ص) في مكة.

وبعد الهجرة إلى حين وفاة النبي وهي عشر سنوات شارك النبي (ص) في جميع حروبه وكانت أغلب الانتصارات التي حققها جند الإسلام مرهونة بتضحياته وبطولاته وإيثاره. والفترة التي عاشها من وفاة النبي (ص) حتى توليه الخلافة هذه الفترة التي استمرت خمساً وعشرين سنة فهو على الرغم من اعتراضه على تلك الحكومة وعلمه بأن الحق معه وله لكنه لم يمتنع من التعاون والإرشاد والتعليم وقدّم خدمات جليلة وعظيمة لعالم الإسلام.

من بعد مقتل عثمان انتخب الإمام علي (ع) برغبة الأكثرية من المهاجرين و الأنصار فأخذ بزمام الخلافة وكانت خلافته خلافة العدل وإحياء سُنَّة رسول الله (ص). وقد كانت سياسته هذه صعبة وثقيلة على البعض وخاصة الذين اعتادوا أيام خلافة عثمان على الامتيازات والعصبية والتسلط فظهرت مجموعة من المخالفين والمعاندين له. وأدّت هذه المخالفة والمعاندة إلى قيام ثلاثة حروب. وفي النهاية استشهد الإمام (ع) بعد حكومة دامت خمس سنوات على يد واحد من الخوارج هو عبد الرحمن بن ملجم في الأربعين للهجرة.

إن شخصية الإمام علي أعلى وأجَلَّ من أن يحويها كتاب ومقالة ويكفى قول الخليفة عمر بن الخطاب بحقه (عقمت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي

طالب). ويقول شبلي الشميّل اللبناني وهو إمام الماديين في عصره بشأن الإمام علي: الإمام علي بن أبي طالب عظيم العظماء نسخة مفردة لم يرَ لها الشرق ولا الغرب صورة طبق الأصل لا قديماً ولا حديثاً.

ويقول جورج جرداق الكاتب اللبناني عن الإمام علي (ع). «ماذا عليك يا دنيا لوحشوت فواك فأعطيت في كل زمن علياً بعقله ولسانه وذي فقاره».

حياة الإمام الحسن عليه السلام

الإمام الحسن هو الابن الأول للإمام علي وفاطمة الزهراء بنت رسول الله وُلد في السنة الثالثة للهجرة بالمدينة. وقد سمّاه رسول الله بالحسن. وقد عاش مع جدّه الرسول سبع سنوات. وبعد وفاة الرسول ببضعة أشهر تُوفيت والدته الزهراء فعاش مع أخاه الحسين مشمولين بعطف ومحبة أباهما أمير المؤمنين علي (ع).

كان الإمام الحسن (ع) منذ أوائل شبابه معروفاً بالعلم والمعرفة وكان يجيب عن الأسئلة ويحل مشاكل الناس وكان للإمام الحسن خصائص أخلاقية وفضائل إنسانية كثيرة فقد كان شخصاً عظيماً وقوراً يحبه الناس.

بعد شهادة أمير المؤمنين عليّ (ع) صعد الإمام الحسن على المنبر وتكلم في فضائل أبيه فقام أهل الكوفة وبايعوه على أنه خليفة رسول الله (ص) وقائد للأمة لأنه من جهة قد نُصّب لهذا المقام من قِبَل رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) ومن جهة أخرى بيعة الناس له وقد دامت خلافته ستة أشهر ولكن عندما سمع معاوية بخبر شهادة أمير المؤمنين علي (ع) جهَّز جيشاً كبيراً وتحرَّك باتجاه الكوفة من أجل أن يجبر الإمام الحسن على التسليم له. ووُضعت شروط للصلح وقد قبل الإمام الحسن هذه الشروط لأن الامبراطورية الرومية التي كانت قد تلقت ضربات موجعة من قِبَل المسلمين أجبرتها على الانسحاب من بلادٍ واسعة

عندما سمعت أن جيش الإمام الحسن وجيش معاوية متأهبان للقتال. فجهَّز جيش الروم جيشاً عظيماً وتحرّكوا باتجاه البلاد الإسلامية. ففي تلك الظروف التي تحيط بالإسلام رأى أنه وهو المكلف بحفظ أساس الإسلام ليس له طريق غير القبول بالصلح ودفع هذا الخطر عن حياض الإسلام. ولولا صلح الحسن (ع) لتوَجه إلى الإسلام خطر كبير.

نص ميثاق الصلح:

نص ميثاق الإمام الحسن (ع) مبيِّن لمساعيه الكبيرة من أجل تأمين وحفظ الأهداف والشعائر الإسلامية المقدسة. فالإمام في تلك الظروف الخاصة كان يريد أن يحفظ أهداف وشعائر الدين المقدس ومواد الميثاق هي:

١ ـ يسلم الإمام الحسن (ع) الحكومة وزمام الأمور بيد معاوية بشرط أن يعمل معاوية على طبق القرآن وسنّة النبي (ص).

٢ ـ تكون الخلافة بعد موت معاوية للإمام الحسن (ع) وإذا حدث له حادث تكون الخلافة لأخيه الحسين بن علي (ع) ولا يحق لمعاوية أن يعيّن خليفة من بعده.

٣ ـ تُمنع بدعة سب أمير المؤمنين علي (ع) في حال الصلاة وفي غيرها وأن لا يُذكر إلا بالذكر الحسن.

٤ ـ أن يكون مبلغ الخمسة ملايين درهم التي في بيت مال الكوفة تحت تصرُّف الإمام الحسن (ع) ويجب أن يقسم معاوية مبلغ مليون درهم كل سنة من خراج (درأبجرد) بين ذوي شهداء حرب الجمل وصفين الذين استشهدوا في ركاب أمير المؤمنين (ع).

٥ ـ يتعهد معاوية بأن يكون الناس آمنين في شامهم ويَمنهم وعِراقهم وحجازهم وبأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا ولا يتعقبهم لمخالفتهم إياه في الماضي.

وفي النهاية يتعهد معاوية بإجراء نصوص الميثاق وشهد عليه كبار الصحابة ورجال الشام وكفى بالله شهيداً.

شهادة الإمام الحسن بن علي (ع):

أرسل معاوية مائة ألف درهم لمن دسَّ السم للإمام الحسن ولما تأكد معاوية من تنفيذ الأمر فرح فرحاً شديداً لأنه أزال أكبر مانع من نيل مقاصده وأهدافه ـ العقد الفريد ٢٥١ ـ الإمامة والسياسة ـ ١٧٤ ـ مروج الذهب ١٠٥ ـ وغيرها.

حياة الإمام الحسين بن علي (ع)

الإمام الثالث لأئمة التشيع هو الإمام الحسين بن علي (ع) والابن الثاني للإمام علي. وُلد الإمام الحسين في السنة الرابعة للهجرة وقد تربى فيي حضن رسول الله (ص) وأمه الزهراء وقد قال رسول الله في حقه وحق أخيه الحسن «الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا».

التاريخ المقبول والمرضي هو تاريخ الرجال الإلهيين وتضحيات وإيثار الأنبياء والثورات التي تقوم بقيادة الرجال العظام فهذه الحوادث والثورات باقية على مرِّ التاريخ وهي غير قابلة للنسيان لأنها مرتبطة بوجدان وفطرة الناس فهي باقية خالدة في الخواطر إلى الأبد. وثورة الحسين واحدة من هذه الحوادث الحيَّة الباقية في قلوب الناس.

أسباب ثورة الحسين: إن أوضح سبب لقيام الإمام الحسين بالثورة هو انحراف الحكومة عن خط الإسلام الأصيل وهذا الانحراف كان بسبب الحزب الأموي على رأس السلطة وكان على رأس هذا الحزب أبو سفيان الذي اعتنق الإسلام ظاهراً بعد فتح مكة بعد أن حارب النبي سنوات عديدة؛ لقد أظهر الإسلام وأخفى الكفر والنفاق في صدره حتى أنه في زمن خلافة عثمان قال يوماً

في جلسة خاصة لرؤساء بني أمية: «إن الخلافة الآن في بني أمية فتلاقفونها فيما بينكم واسعوا أن لا تخرج عن بني أمية واحفظوها في أعقابكم إلى الأبد. وأنا أقسم أنه لا جنة ولا نار».

وقد أحكم معاوية أساس حكومة ابنه يزيد الذي كان خلاصة وثمرة تلك العصبية الأموية فتسلم يزيد مقاليد الحكم بعد وفاة أبيه معاوية عام ستين للهجرة ولم يخضع يزيد لأي تربية أو توجيه ديني. إلاَّ ما كان عليه جدّه أبو سفيان من عداوة ومخالفة للإسلام منذ زمن الجاهلية وحروب بدر وأُحُد والأحزاب..

فوقعت هذه الحكومة بيد رجل حقير منكر لرسالة الوحي الإلهي بشكل ساخر. الفرق بينه وبين أبيه أن أباه كان يُظهر تمسكه بالإسلام لكن يزيد لم يستطع حتى التظاهر بالدين والإيمان. فتقرَّر أن يجمع الحسين أصحابه من مناطق مختلفة والقيام بالثورة على الحكومة الفاسدة وكان الهدف من الثورة هو إحياء الإسلام وسُنن الدين وليس تسلم مقاليد الحكم والسلطة.

قال الإمام الحسين (ع) في إحدى خطبه بالقرب من كربلاء مبيناً سبب ثورته: «أيها الناس قال رسول الله (ص) من رأى منكم جائراً يُحلَل حرام الله وينقض عهد الله ويخالف سُنَّة رسول الله يعمل في عباد الله بالظلم والعدوان فلم يغيّر عليه بقول أو فعل فالله يحشره في جهنم مع ذلك الجائر».

بعد استشهاد الحسين بن علي (ع) دبّت روح الثورة والانتفاضة في كيان الأمة الإسلامية وكأن ثورة الحسين (ع) قد نفخت في الأمة النائمة. فأوقدت فيها العداوة لحكومة بني أمية. وأوّل ثورة بعد شهادة الحسين هي ثورة التوابين وكان شعارهم (يا لثارات الحسين وقد اتصفت ثورتهم بالإخلاص والصفاء والفداء. وبعد ثورة هؤلاء الثوار بدأت ثورة المختار وبعدها حدثت ثورات الواحدة تلو الاخرى حتى انتهاء بني أمية.

لقد وضع رسول الله (ص) والقرآن الكريم أساس عقيدة الشهادة ومن أجل إحياء هذه العقيدة كانت تحتاج إلى شهادة ودم كدم الحسين بن علي ليُعيد للأمة

وعْيَها ورشدها ويعلمها درس الشهادة والتضحية والفداء هذا الدرس الذي جعل الأمة تنهض وتستيقظ من غفوتها. كان هذا درساً من ثورة الحسين ونتائجها المباركة.

حياة الإمام زين العابدين (ع):

الإمام الرابع من أئمة أهل البيت هو الإمام علي بن الحسين (ع) المعروف بالسجاد. وُلد الإمام علي بن الحسين في السنة الثامنة والثلاثين للهجرة وارتحل سنة أربع وتسعين للهجرة. تسلم الإمام السجاد زمام أمور المسلمين من قبل الله تعالى بعد شهادة الحسين بن علي في عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة.

لقد خرج الإمام السّجاد من مصيبة كربلاء سالماً حيث شملته رعاية الله ولطفه من كيد العدو فقد أُخذ أسيراً مع بقية الأسرى من الكوفة إلى الشام وكان يُلقي الخطابات في المجالس الخاصة. ففي مجلس عُبيد الله بن زياد والي يزيد وبعد كلام طويل غضب عبيد الله غضباً شديداً وهدده بالقتل فقال الإمام مجيباً «أبالموت تخوّفني. ألم تعلم أن الموت لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة».

لما رجع الإمام من الشام إلى المدينة. انعزل عن الناس وأغلق بابه بوجه الغرباء وانشغل بالعبادة والدعاء إلا الأصحاب والمقربين منه لكن على الرغم من انعزاله كان قد أعدَّ (١٧٠) تلميذاً بارزاً كل واحد منهم مصباح يُضيء للمجتمع الإسلامي وأسماء هؤلاء موجودة في كتب الرجال. لقد ظهرت للأمة علائم عظمة الإمام وكان ذلك بسبب نشاط الإمام وتربيته للأشخاص ونشره للمعارف الإسلامية.

ومرّة حَجَّ هشام بن عبد الملك فطاف بالبيت فجهد أن يصل إلى الحجر فيستلمه فلم يقدر عليه فجلس ينظر إلى الناس ومعه أهل الشام إذ أقبل علي بن الحسين فلما بلغ الحجر تنحّى له الناس حتى يستلمه، فقال رجل من أهل الشام

من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة. فقال هشام لا أعرفه. وكان الشاعر الفرزدق حاضراً فقال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقيّ النقي الطاهر العلمُ
إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
إن عُدّ أهل التقى كانوا أئمتهم	أو قيل من خير الأرض قيل همُ
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره	العرب تعرف من أنكرت والعَجَمُ

هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

دعاؤه (ع) الصحيفة السجادية مجموعة من الأدعية وردت عن الإمام السجّاد. وهي بحدود أربعة وخمسين دعاءً. وهذا الدعاء مجموعة كاملة شاملة للنظرة الكونية ومعرفة الله ومعرفة الإنسان. وهذه الأدعية كانت في وقت لم تسنح الفرصة والظرف لأن يتكلم الإمام بحرّية واختيار لهذا فقد بيَّن عن طريق الدعاء والمناجاة أسلوب الحياة الأخلاقية الكاملة وبرنامج الحياة الاجتماعية ونشرها في أوساط المسلمين.

فالإمام في حين انزوائه وانعزاله كان يدعو الناس ويعلمهم دروس الثورة والنهوض وكان يدعو الله بمثل هذا الدعاء. «إلهي أعطني قوة أستطيع بها أن أنتصر على من ظلمني وأعطني لساناً أغلب من حاجّني وفكراً أبطل به كيد عدوي وأقطع يد الظالم عن تجاوزه». ومثل هذه الأدعية كثيرة في الصحيفة السجادية.

حياة الإمام الباقر

وهو الإمام الخامس من أئمة أهل البيت وُلد الإمام محمد الباقر (ع) في

المدينة سنة ٥٧هـ وارتحل إلى جورا ربه سنة ١١٤هـ. وهو ابن الإمام علي بن الحسين زين العابدين. كان له عند وفاة أبيه سنة ٩٤ للهجرة ستة وثلاثون عاماً. وأمّه بنت الإمام الحسن.

لقد عُرِف الإمام محمد الباقر منذ شبابه بالعلم والمعرفة والفضيلة والتقوى وكان مرجعاً كل مشاكل الناس العلمية وقد شرع في تأسيس جامعة إسلامية للتعليم والتربية العلمية واكتملت هذه الجامعة وأعطت ثمارها على يد ولده الإمام جعفر الصادق (ع).

لقد كان كل واحد من أئمة أهل البيت في عصره مسؤولاً عن قيادة وإرشاد المجتمع الإسلامي وحفظ وحماية قوانين الإسلام لكن عملهم في تحقيق هذا الهدف مختلفاً بحيث كان ينتخب كل واحد منهم الطريقة التي تتناسب مع ظروف زمانه من أجل الوصول إلى هذا الهدف السامي.

فالإمامين السجاد والباقر عليهما السلام كانا يعيشان ظروفاً قاسية من الظلم والضغط والجور فكانت طريقتهما في العمل تتسم بالسرية والخفاء حتى لا يطلع على عملهم أحد من أعوان السلطة إذ لو انكشفت طريقة عملهم هذه للسلطة الحاكمة فإنها ستعمل إلى إبعادهم أو سجنهم. وفي النهاية عندما مُنعَ الإمام من نشر ورواية أحاديث رسول الله. شرع بتعليم المسلمين المعارف الإسلامية وتفسير القرآن. وأحكام الإسلام وربّى شخصيات إسلامية عظيمة يُعد كل واحد منهم راوي حديث وفقيهاً كبير المنزلة. لقد خاف هشام بن عبد الملك من مكانة الإمام الباقر وابنه جعفر الصادق فأمر حاكم المدينة أن يرسلهما إلى الشام وكان هشام يسعى لتصغير مقامهما في أعين أهل الشام لكن مناظرة الإمام الباقر مع أسقف النصارى رفعت من مكانة الإمام الباقر في أعين أهل الشام لهذا اضطر هشام لإرجاعهما إلى المدينة.

كان الإمام الباقر سبباً لخوف وغضب حاكم عصره هشام بن عبد الملك

فأقدم على سمِّ الإمام فاستشهد مسموماً في سنة ١١٤ للهجرة ودفن إلى جنب أبيه في مقبرة البقيع.

حياة الإمام السادس جعفر الصادق

وُلد الإمام الصادق سنة ٨٣هـ وارتحل من الدنيا سنة ١٤٨ للهجرة ودُفن في مقبرة البقيع إلى جوار قبر أبيه. أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، دامت إمامته أربعة وثلاثين عاماً.

إن الظروف السياسية والاجتماعية في هذه الفترة الزمنية حيث انشغال أتباع الحكومة الأموية بمحاربة وتصفية الثائرين عليها. أعطت الفرصة للإمام لنشر العلوم والمعارف الإسلامية وتربية أفراد تتوفر فيهم تعاليم الإسلام، هذه الجامعة الكبيرة التي خطط لها والد الإمام الصادق (ع). وقد تربى فيها على يد الإمام الصادق أربعة آلاف شخص في مختلف العلوم والمعارف فقدّم للعالم الإسلامي شخصيات إسلامية أصبحت مشاعل تضيء الطريق.

لا تتوقف خدمات الإمام الصادق (ع) في التفسير والحديث والفقه بل استطاع الإمام أن يُربى شخصيات كبيرة في علم الكلام والفلسفة والفلك والكيمياء والفيزياء وسائر العلوم الأخرى. ومن هؤلاء هشام بن الحكم الذي ألف خمساً وعشرين كتاباً. ولم يكن هذا فقد من أبعاد خدمات الإمام الصادق العلمية. بل إن أبحاثاً في العلوم الطبيعية حيث كشف عن أسرار كانت مخفيَّة وهي اليوم محل إعجاب وتقدير العلماء ومصداق ذلك كتابا التوحيد للمفضَّل الذي أملاه الإمام عليه خلال أربعة أيام إذ يبين الإمام في هذا الكتاب حاكمية وسلطة القوانين الطبيعية على العالم. ومن الذين تخرَّجوا من جامعة الإمام الصادق جابر بن حيّان الذي يُعَد اليوم أبا الكيمياء فهو الشخص الأول الذي تعلّمَ من الإمام الكيمياء. وقد كتب كتاباً في هذا الصدد وعدَّة رسائل.

حياة الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) ـ وهو الإمام السابع

ولد الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) سنة ١٢٨ للهجرة واستشهد سنة ١٨٣هـ في بغداد وتولى مسؤولية الإمامة بعد وفاة والده الإمام الصادق سنة ١٤٨هـ وفي ذلك الوقت كانت الحكومة قد خرجت من يد الأمويين إلى بني العباس. عاصر الإمام الخلفاء العباسيين: المنصور الدوانيقي والمهدي بن المنصور والهادي بن المهدي وهارون الرشيد الابن الآخر للمهدي.

إن كل واحد من الأئمة عليهم السلام كان مسؤولاً عن قيادة وإرشاد المجتمع الإسلامي وحفظاً وحراسة قوانين الإسلام وأن طريقتهم في هداية المسلمين ترتبط بالظروف التي يعيشها المسلمون في ذلك الزمان. فأحياناً تكون بشكل قيام مسلح وثورة ودم وأحياناً بشكل جهاد سري وحفظ للعقيدة دون بذل خسارة ودماء وأحياناً بشكل تأسيس جامعة إسلامية كبيرة وتربية شخصيات كبيرة وأحداث نهضة علمية. لقد تسلم الإمام الكاظم (ع) قيادة الأمة الإسلامية في سن العشرين. واختار الإمام طريق الجهاد التي اتبعها أبوه الإمام الصادق بالاستمرار في نهج الثورة العلمية وحراسة الجامعة الجعفرية بعد أن درس الأوضاع والظروف المحيطة به. لهذا قد تخرَّج على يديه كبار الشخصيات في العلم والفضيلة. لقد اختار الإمام هذه الطريقة وتقدم فيها باحتياط وحذر لأن جواسيس المنصور كانوا له بالمرصاد لأنه إذا علم بإجماع الشيعة على إمامته فإنه يُؤخذ ويُضرب عنقه. لذلك رأى الإمام أنه ليس أمامه طريق غير نشر ـ المعارف الإسلامية وتربية شخصيات إسلامية عظيمة في مجال العلم والعمل. يقول أحد الكتاب المطلعين: (استشهد الإمام الصادق مسموماً في المدينة عام ١٤٨ للهجرة لكن من حسن الحظ لم يُعطَّل درسَهُ وبحثه بل تولى ابنه موسى بن جعفر الكاظم مقام أبيه بالبحث والدرس على أكمل وجه. لكن في نفس الوقت كان يُمنَع الإمام من القيام ببحثه العلمي ويضيَّق على تلامذته. هذا التضييق والملاحقة التي كان يتعرَّض لها تلامذة الإمام من قبل الحكومة العباسية جعلتهم

غير قادرين حتى على ذكر اسمه صراحة. لكن الإمام مع كل هذه المضايقات لم يضعف عزمه عن مواصلة الجهاد والسعي الحثيث لتربية وإعداد شخصيات إسلامية كبيرة والعمل من أجل تكامل النهضة العلمية والثقافة الإسلامية. لقد استطاع الإمام أن ينجو خلال حكومة المنصور والمهدي العباسي والهادي العباس بسبب اختياره للطريقة السرية في العمل والجهاد لكن في زمن هارون الرشيد قرّر إلقاء القبض على الإمام فهجم جلاوزة هارون الرشيد على مسجد النبي وألقوا القبض على الإمام وكان مشغولاً بالصلاة والدعاء ولم يبالوا بحرمة بيت الله ولا النبي. أمضى الإمام الكاظم سنة في سجن البصرة ثم أمر هارون واليه على البصرة عيسى بن جعفر بقتل الإمام. فامتنع والي البصرة عن قتل الإمام وقال أرسل شخصاً لأخذ الإمام وإلاَّ فإني سأطلق سراحه. لهذا السبب أرسل هارون (السندي بن شاهك) إلى البصرة لنقل موسى بن جعفر إلى بغداد. بقي الإمام أربع سنوات في سجن بغداد وفي نهاية الأمر سمَّهُ هارون الرشيد فاستشهد الإمام في السجن سنة ١٨٣ للهجرة.

حياة الإمام علي بن موسى الرضا

الإمام الثامن من أئمة المسلمين هو الإمام علي بن موسى الرضا (ع). ولد سنة ١٤٨هـ. كنيته أبو الحسن ولقبه الرضا (ع). تولى مقام الإمامة والقيادة بعد وفاة أبيه الكاظم في سجن بغداد وكان له من العمر خمس وثلاثون عاماً ودامت مدة إمامته عشرين سنة. واستشهد الإمام عام ٢٠٣ للهجرة بالسم وكان له من العمر أربعة وخمسون عاماً وثلاثة أشهر.

إن المقام الكبير والعلمية الضخمة وحب الناس لأئمة أهل البيت جعل خلفاء بني أمية وبني العباس يسعون دائماً لإبعادهم أو سجنهم حتى لا يتعرَّف الناس أحوالهم وذواتهم المقدَّسة لأنهم كانوا يخافون من أن يسلم الناس زمام الأمور إليهم. بعد أن تسلم الخليفة المأمون أمور الخلافة بعد قتل أخيه محمد

الأمين سعى إلى جلب الإمام الرضا من المدينة إلى (قرْو) ليكون تحت نظره. وكان قد حدث ايام خلافة الرشيد حدثٌ هام بوجود المأمون عند أباه عندما استدعى هارون الرشيد الإمام الرضا وعندما وصل الإمام نزل الرشيد عن عرشه واستقبل الإمام بانحناء وخشوع. وعندما خرج الإمام من الاجتماع سأل المأمون أباه، عجبت من أمرك يا أبتاه كيف استقبلت هذا الرجل، لأنني أراك عندما يأتي إليك الوزراء والقضاة وكبار الناس لا تنزل عن عرشك بل هم يأتون إليك وينحنون لك خاشعين إلا هذا الرجل فأنت انحنيت له وبجَّلته فلماذا يا أبتاه. فأجابه الرشيد لأن هذا العرش الذي يجلس عليه أباك هو حق له وهو أولى به منا. فأجاب المأمون (إن كان كذلك فلماذا لا تعطيه حقه) فقال كلمته المشهورة «الملك عقيم يا بني فإن أنت نازعتني فيهالأقتلعت الذي فيه عينيك».

بعد وصول الإمام الرضا (ع) إلى (مروْ) حظي باحترام المأمون وحاشيته. وقد اقترح المأمون عليه في أول جلسة له معه وبإلحاح وضغط شديد أن يقبل الخلافة ويتنحى المأمون عنها فلم يقبل الإمام بالخلافة فطرح عليه مسألة ولاية العهد فقبل الإمام الرضا بشروط. وأحد هذه الشروط هو عدم قبول أية مسؤولية وليس له عزل أو تنصيب أي شخص فالقبول بولاية العهد قبول صوري شكلي ليس له أي تأثير. ولما سأل الريان من الصلت الإمام الرضا (ع) عن سبب قبوله بولاية العهد أجاب الإمام قائلاً: (الله يعلم أني غير راضٍ بهذا الأمر وإنما كنت على مقترف طريقين إما القبول بولاية العهد أو القتل لهذا قبلت).

كان المأمون يخاف من مكانة الإمام المتزايدة في قلوب الناس خصوصاً بعد حادثة صلاة العيد حيث ذكرت هذه الحادثة بشكل مفصَّل في كتب التاريخ. كان المأمون يخاف من حب الناس للإمام. لذا فقد قام بسُمّ الإمام (ع) ولمّا وصل إليه خبر استشهاده جاء إلى بيت الإمام باكياً لاطماً رأسه والدموع تتساقط من عينيه من أجل أن يغطّي جريمته ودفن الإمام إلى جوار قبر هارون الرشيد.

حياة الإمام محمد التقي الجواد

وهو الإمام التاسع من أئمة أهل البيت والمعروف بالإمام الجواد. وُلد الإمام الجواد عام ١٩٥هـ. واستشهد عام ٢٣٠هـ. في بغداد بسم دسَّه له المعتصم العباسي مدة عمره كانت ٣٦ عاماً ومدة إمامته سبع عشرة سنة. لقد كان الإمام الجواد شخصية إسلامية عظيمة ظهرت آثار إمامته وقيادته منذ الصغر من كلامه وأفعاله.

بعد شهادة الإمام الرضا (ع) سنة ٢٠٣ للهجرة انتقلت الإمامة إلى ابنه محمد الجواد تسلّم الإمام الجواد زمام أمور القيادة والإمامة وعمره تسع سنين. وليس عجيباً في النظرة الكونية أن يتحمل رجل إلهي مقام القيادة لأن الأئمة الإلهيين بسبب التربية الخاصة التي يتربون عليها من الصِغَر يتأهلون لنوع من الكمالات لا توجد في الأشخاص العاديين.

لقد عُرِفَ المأمون من بين الخلفاء العباسيين بالذكاء والفطنة والتدبير وكانت له رغبة بالعلم والثقافة. وكان يعلم أن قلوب الناس ليست مع العباسيين بل إن قلوبهم متوجهة ومتطلعة إلى البيت النبوي وعلى رأسهم في ذلك الزمان الإمام الرضا. فاختار بدل أن يسلك طريق القمع والإرهاب طريق احتواء محور الثورات بجعلهم بالقرب منه ليكونوا تحت نظره ولهذا السبب جاء بالإمام الرضا إلى خراسان في مراسم وتشريعات خاصة لكن لما رأى نفوذ الإمام في قلوب الناس وتعلقهم به أَحَسَّ بالخطر لِذا أقدم على سُم الإمام.

لم يزل الخطر بصورة كلية باستشهاد الرضا لأنه كان يعلم أن ابنه سوف يكون محور الثورات والنهضات العلوية والشيعية عما قريب. لهذا اتبع مع الإمام الجواد نفس السياسة التي اتبعها مع أبيه الرضا. فقد استدعى الإمام الجواد إلى بغداد وزوَّجه ابنته «أم الفضل» من أجل كسب قلوب الشيعة.

ولم تكن مسألة زواج الإمام من ابنه المأمون مورد قبول العباسيين لكن

المأمون العباسي فضل جلب رضا الثوار والشيعة على رضا العباسيين. وقد سعى الإمام بجعل المأمون يوافق على ذهابه إلى الحج هو وزوجته وعندها اختار مسكناً له في المدينة ولم يعُد إلى بغداد. وبقي في المدينة إلى نهاية خلافة المأمون. بقي هناك مؤدياً دور الإمامة والقيادة في التعليم والتربية والإجابة على أسئلة الناس فكان محور هداية لمحبي عقيدة أهل البيت.

توفي المأمون عام ٢١٨هـ فتسلم زمام الأمور بعده المعتصم، فسار المعتصم على نفس سياسة المأمون وأحسَّ بالخوف من وجود الإمام الجواد في المدينة فاستدعاه بالقوة والجبر إلى بغداد فوصل الإمام عام ٢٢٠ هجري إلى بغداد وفي نفس هذه السنة سُمَّ بحيلة دبرها المعتصم ودفن إلى جوار قبر جده موسى الكاظم (ع).

لقد ربّى الإمام شخصيات إسلامية كبيرة أثناء وجوده في المدينة كانت مشاعل نور وهداية ومعرفة للمجتمع.

حياة الإمام علي الهادي (ع)

هو الإمام العاشر من أئمة آل البيت وهو الإمام علي الهادي المعروف بأبو الحسن الهادي وُلد الإمام الهادي عام ٢١٢ للهجرة في المدينة واستشهد عام ٢٥٤هـ. واستمرت فترة إمامته وقيادته ثلاثة وثلاثين عاماً.

استشهد الإمام الهادي على يد الخليفة العباسي (المعتز) الذي دسَّ له السم ودفن في بيته.

تسلم المتوكل العباسي زمام الأمور سنة ٢٣٢هـ وكان يخاف من الثورات العلوية وكان يعلم أن هذه الثورات والنهضات هي من أجل الإمام علي الهادي لقد أراد المتوكل أن يحيى سُنَّة سابقيه فرأى من المصلحة أن يستدعي الإمام الهادي من المدينة إلى سامراء. فيجري بذلك طريقة المأمون في الإمام الهادي وبذلك يكون الإمام تحت أنظار الخليفة بشكل دقيق وإلاَّ فإن وجود الإمام في

المدينة هو خطر قطعي يهدد الدولة العباسية. لهذا السبب أرسل المتوكل رسالة إلى الإمام الهادي يأمره فيها بالقدوم إلى سامراء. وكان إحضار الإمام الهادي إلى سامراء وإسكانه بالقرب من أحد المعسكرات سبباً لاستقرار فكر المتوكل الذي قام بتخريب قبر الحسين (ع) والدور المحيطة به وتحويلها إلى مزرعة ومنع الناس من زيارة هذه العتبات المقدسة.. وكان المتوكل شديد العداوة لأهل البيت فقتل أكبر عالم في عصره ابن السكيت والذي يُدعى بإمام العربية بجريمة حبَّهُ للحسن والحسين. وفي النهاية وفي حفلة شراب دبَّر ابنه المنتصر خطة لقتله فقتل هو ووزيره (الفتح بن خاقان) عام ٢٤٧هـ. وقد استطاع الإمام الهادي أن ينجو من يد هذا السفَّاك. وتسلّم زمام الأمور بعد المتوكل كل من المنتصر والمستعين وكانت سياستهم مع الإمام الهادي عادلة إلى حدٍ ما. لكن عندما تسلَم زمام الأمور المعتز ابن المتوكل عام ٢٥٢هـ قام بسُمّ الإمام الهادي بسبب العداوة والضغينة التي ورثها من أبيه فاستشهد الإمام الهادي (ع) في سامراء ودُفن في منزله.

حياة الإمام الحسن العسكري

الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت هو الإمام الحسن العسكري. وُلِدَ في المدينة سنة ٢٣٢ للهجرة وتوفي سنة ٢٦٠ للهجرة في سامراء ودُفن في بيته.

استشهد أبوه الإمام الهادي سنة ٢٥٤ أي قبل خلع المعتز من منصب الخلافة بسنة فتسلم الإمام العسكري منذ ذلك الوقت منصب الإمام والقيادة.

كانت سياسة العباسيين مع الأئمة الأطهار هي نفس السياسة التي اتبعها المأمون مع الإمام الرضا لهذا نرى أن المعتصم جعل الإمام الجواد تحت نظره ومراقبته وجعل المتوكل الإمام الهادي تحت نظره ومراقبته وكذلك اتبعوا نفس السياسة مع ابنه الإمام العسكري. وكان الهدف من هذا جعل الإمام تحت أنظارهم ومراقبتهم لكي يطلعوا بشكل كامل وعن قرب على جميع أفعاله وكان

العسكري مثل أبيه تحت النظر والمراقبة في سامراء وكانوا يُحضرونه لدى الخليفة يومي الاثنين والخميس. وكانت مراقبة الإمام العسكري أكثر من أبيه ويعود هذا لسببين:

١ ـ إنه كان للشيعة في زمانه الإمام العسكري قوة عظيمة خصوصاً في العراق.

٢ ـ إن العباسيين يعلمون حسب الروايات الواردة بأن المهدي الموعود سوف يقضي على كل الحكومات وهو من ذرية الإمام العسكري لهذا كانوا يريدون مراقبة الإمام بدِقَة وعندما سمع المعتمد العباسي أن الإمام العسكري مريض أرسل عبيد الله بن خاقان مع خمسة أشخاص لتفتيش ومراقبة بيت الإمام وكان الإمام مع هذه المراقبة الشديدة مستمراً في عمله الاجتماعي والسياسي والعلمي بالمقدار الذي تسمح به الظروف وكان يواصل سعيه العلمي في خصوص نشر المعارف الإسلامية ورد الشبهات والإشكالات. ومواصلة سعيه لتهيئة أذهان الناس للاعتقاد بغيبة ولده الإمام محمد بن الحسن العسكري المهدي.

فكل واحد من هؤلاء الأئمة لم يلن عزمه ولم يجلس ساكتاً عن توعية الناس وإرشادهم وحثهم على مخالفة الظلم والظالمين بل كان يُحي الحق ويميت الباطل ما دام يجد إلى ذلك سبيلاً.

حياة الإمام المهدي

وهو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت. وُلد الإمام المهدي في النصف من شهر شعبان سنة ٢٥٥ للهجرة، اسم الإمام محمد وكنيته أبو القاسم. وكانت الحكومات تعتقد أن ولادته خلاف مصلحتها فلهذا كانوا يراقبون ولادته ويسعوّن لألاَّ يولد أو القضاء عليه عند ولادته لهذا فقد غاب عن الأنظار بأمر الله تعالى بعد وفاة أبيه الإمام الحسن العسكري ولم يلتق إلاّ بنوا به الخاصين.

استشهد أبوه الإمام سنة ٢٦٠ للهجرة ومن ذلك الزمان سميت غيبته بالغيبة

الصغرى واستمرت هذه الغيبة حتى سنة ٣٢٩هـ أي حوالي تسعة وستين عاماً وبدأت الغيبة الكبرى من هذه السنة وهي مستمرة إلى ما شاء الله تعالى وعندها سترتفع ستارة الغيب وتتحقق الحكومة الإلهية وتتمثل كل الشعارات وأهداف الأنبياء. والمقصود من الغيبة الصغرى أن كل الشيعة ومحبي أهل البيت يستطيعون أن يتصلوا بالإمام بواسطة أحد نوابه الخاصين ويحصلوا على أجوبة عن أسئلتهم.

وكانت وفاة النائب الأخير سنة ٣٢٩ للهجرة وعندها بدأت الغيبة الكبرى وانسد باب النيابة الخاصة وانتقلت زعامة الشيعة في عصر الغيبة والإجابة عن أسئلة الناس وحل مشكلاتهم إلى الفقهاء جامعي الشرائط. من خصوصيات الإمام المهدي أنه ابن الإمام الحسن العسكري وأنه يملأ الدنيا عدلاً وقسطاً ويقيم حكومة العدل الإلهي ويُحرّر المستضعفين من قيود الظلم والجور وينهي الحروب ويعم السلم والصفاء والعمران محلها.

خطب الإمام علي بن أبي طالب بعد تسلمه الخلافة فقال: «أيها الناس إنما أنا رجل منكم لي مالكم وعلي ما عليكم وإني حاملكم على منهج نبيكم ومنفذ بكم ما أمرت به. ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال فإن الحق لا يبطله شيء، فإن في العدل سِعة ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق». ـ انظر أحمد أمين ضحى الإسلام ـ يقول المدائني: «فقد كان علي بن أبي طالب لا يفضل شريفاً على مشروف ولا عربياً على عجمي ولا يصانع الرؤساء وأمراء القبائل فكان هذا من أول الأسباب في تقاعد العرب عنه». أحمد أمين ـ ويروى أن طائفة من أصحاب علي مشوا إليه فقالوا «يا أمير المؤمنين أعطِ هذه الأموال وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم وأستملْ من تخاف خلافه من الناس فقال لهم: «أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور». فالإمام علي لم يكن من الذين يدعون إلى دين الطقوس والشعائر ولا يبالون بما سوى ذلك بل يجب أن تكون معطوفة على

الدعوة إلى العدل والمساواة وإلى تقليص الفروق الاقتصادية والاجتماعية بين الناس واعتبار ذلك قوام الدين فالدين هو المعاملة.

يقول الإمام علي: «إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء ما يكفي الفقراء، فما جاع فقير إلا بما مُتع به غني والله تعالى سائلهم عن ذلك».

وأما الانصياع لظلم الحكام والسلاطين استناداً إلى الآية ـ أطيعوني وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم. فالمقصود بأولي الأمر هنا هم وُلاة النبي الذين عينهم هو وأشرف على تدريبهم لا كما فهمها وُعاظ السلاطين الذين أرادوا من الناس أن يرضخوا لكل والٍ مهما كان ظالماً ونسوا أمر النبي إذ قال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». وشيعة أهل البيت أو الإمامية فضلاً عن إيمانهم بوحدانية الله وبرسله وبالرسول الخاتم يؤمنون بالوصاية والإمامة والعصمة والولاية والاجتهاد والتقليد وبالعدل والانتظار والدعاء والغيبة والشفاعة وسنلقي نظرة على كلٍ منها:

فالوصاية: تعني أن الرسول طبقاً لأوامر الله تعالى أوصى بأفضل الناس وأكثرهم كفاءة في أهل بيته على أساس كونه أكثرهم علماً وتقوى واستحقاقاً.

والإمامة: تعني قيادة ثورية تهدي الناس في الكفاح من أجل بناء مجتمع سليم وتقوم بتوعية الناس وحثّهم على التفكير والاستقلال في الرأي إنها قيادة تتكوَّن من أشخاص هم التجسيد العملي لمبادئ ورسالة الإسلام ويمكن بالعمل تحت قيادتهم أن نتربى ونعي أكثر فأكثر.

والعصمة تعني الاعتقاد بالتقوى الفكرية والاجتماعية للقادة المؤمنين الشاعرين بالمسؤولية والساعين من أجل العلم وحكم الشعب ويعني هذا رفض حكم الجور ورفض طاعة العلماء المشكوك بنزاهتهم.

والولاية: تعني الإيمان بولاية عليّ والتصرَّف اقتداءً بسلوك علي، باعتباره نموذجاً راقياً لأحد عباد الله. كانت قيادته تهدي الناس كسراج منير وحكمه كان

كتطلع الإنسان نفسه عبر التاريخ ـ أمل في العدل والحرية والمساواة ـ وأن في سنوات حكمه الخمس لخير دليل، ينشدها الناس ولا زالوا كقدوة.

الشفاعة: حافز على العمل من أجل اكتساب استحقاق النجاة في الآخرة.

الاجتهاد: هو عنصر الحركة والتطور في الدين عبر الزمن وخطوة فخطوة مع التاريخ والثورة الدائمة للإنسان. إنه تطور في نظرة الدين. يسمح بتطور منسجم في الفقه حسب التغييرات.

وأما التقليد: فهو علاقة منطقية وعلمية ضرورية بين عامة الناس وعلماء الدين المتخصصين في المسائل العملية والحقوقية وقضايا أُخرى ذات طابع فني ومتخصص.

العدل: الاعتقاد بوجود صفة العدالة في الله وبأن الكون قائم على التوازن والعدل فالنظام الاجتماعي والحياة أيضاً يجب أن ترسِ على أسس العدل. إن الظلم واللامساواة هما نظام غير طبيعي وغير إلهي. بل إنه ضد الله. إن العدل هو أحد ركنين أساسيين في الدين. فالعدل هو هدف الرسالة والشعار العظيم للإسلام.

الدعاء: نص يربي ويُعلم يُلقن الجمال والطبيعة؛ إنه عمل يقود الروح نحو المعراج إنه يبعد المرء لحظات عن الحياة اليومية ليقر به من الله.

الانتظار: هو الإعداد الروحي والعملي والعقائدي من أجل الإصلاح والثورة وتغيير العالم. أمل يعين على الإيمان القاطع بزوال الظلم وانتصار الحق والعدل. إنه ثقة بانتصار الجماهير والناس الصالحين الذين كرّسوا أنفسهم من أجل الثورة العالمية.

الغيبة: تعني مسؤولية الناس في تقرير مصيرهم، وفي اتخاذ القرار فيما يخص: إيمانهم وقيادتهم، حياتهم المعنوية والاجتماعية. تعني مسؤولية الشعب في انتخاب قيادة نابعة من صفوفه قيادة مسؤولة ونزيهة تستطيع أن تنوب عن قيادة

الإمام. فالتشيَّع العلوي: هو تشيُّع المعرفة والمحبة وتشيُّع السنة النبوية والوحدة الإسلامية والإنسانية. هو تشيَّع العدل في العالم، في المجتمع وفي الحياة. وهو تشيع الممارسة والالتزام وتشيُّع الاجتهاد والمسؤولية هو تشيَّع الحرية وثورة كربلاء. تشيع الشهادة والسعي وراء التقدم والتطور. تشيع التوحيد والاختيار.

الإمام في التراث الشيعي له معنيان

أ ـ بمعنى القدرة، النموذج المثالي، علامة الطريق، الإنسان الأفضل والمثالي، التجسيد الموضوعي للإسلام. (مجموعة من العقائد والفضائل الأخلاقية يبشر بها الدين ويعبر عنها بكلمات؛ بينما الإمام يجسدها عملياً بوجوده وحياته وموته) فالإمام إذن هو إسلام مرئي ومحسوس إيمان تجسّد بشكل إنسان.

ب ـ الإمام بمعنى القائد، الزعيم، المسؤول عن هداية الأمة الماسك بزمام قيادة الشعب على أساس نهج العدالة وعلى طريق التقدم والتطور. والإمامة تختلف عن النبوّة فالنبوّة هي تبليغ الرسالة بينما الإمامة هي تطبيق الرسالة وتحقيق أهدافها.

إن النبي يبلَّغ الرسالة وهو إذا كان إماماً أيضاً يساهم في بناء المجتمع وقيادته ويتولى المسؤولية الاجتماعية أي يتولى شؤون السياسة إلى جانب مهمة النبوّة.

المسيح كان نبياً فقط، أما محمد فقد كان نبياً وإماماً. لهذا نقول أنه خاتم الأنبياء. وليس خاتم الأئمة. إن نبوّته قد ختمت، أما إمامته فيجب أن تستمر وتتواصل أجيالاً بعده. فالإمامة لدى الشيعة هي استمرار لإمامة محمد ـ دون نبوّته ـ وهي النموذج السامي للمدرسة والنهج والإنسان ـ القدوة وكذلك بمعناها الثاني أيْ تواصل إمامة محمد. إن نبوّة محمد ختمت به أما إمامته فبدأت به وانتهت في «عترته». أهل بيته الذين كان لديهم إلهام إلهي وعلم متوارث أباً عن

جد عن مدينة العلم التي هي الرسول الأكرم. إن الإسلام هو إيديولوجيا، تهوي عملية بناء الإنسان الراقي وبناء مجتمع متوازن يكون قدوه للناس في العالم. ولكن الإسلام ليس إيديولوجيا فحسب بل إنه ثورة اجتماعية أيضاً. ثورة ترمي إلى بناء مجتمع لا طبقي حر، مؤسس على القسط والعدل. مجتمع يتكون من أفراد أحرار واعين وشاعرين بالمسؤولية.

إن رسالة النبوّة التي ترسي الأساس الإيديولوجي يمكن أن تكتمل في حياة النبي صاحب الرسالة. لكن رسالة الإمامة التي تعني إرساء أسس بناء الأمة، والتطبيق الاجتماعي والعملي لإيديولوجيا ثورية، إن تلك الرسالة لا يمكن تحقيقها في جيل واحد. فخلال جيل واحد يمكن أن تبدأ الثورة وتنهض، بل وتنتصر وتأخد زمام القيادة، في المجتمع ولكن بناء مجتمع ثوري، يتم ضمن عملية ثورية طويلة المدى وتمر عبر أجيال.

خلال هذه الأجيال، يتصدى لحمل عبء الرسالة وقيادة حركة التغيير قادة جدد. ويكون تصديهم للمسؤولية يتم بأسلوب ثوري ـ تماماً كما كان تصدّي القائد الأول للثورة ومؤسس الرسالة ـ ويستمر هذا إلى أن يصل المجتمع إلى مرحلة التطور السياسي والفكري والأخلاقي ويتم ترسيخ الإيديولوجيا والأخلاق الثورية، ويرتفع الوعي السياسي. وآنذاك يمسك المجتمع نفسه بالسلطة السياسية والاجتماعية ويباشر مسؤوليته بشكل مباشر ويقرر مصيره بنفسه ويواصل دفع المسيرة إلى الأمام. آنذاك يبلغ المجتمع مرحلة الديموقراطية أو الشورى. فالشيعة يؤمنون بمبدأ الوصاية لإثنا عشر إماماً وعلى الناس أن يعملوا حسب الوصية ويضعوا زمام أمورهم بيد الوصي وإلا فإنهم يقعون في الضلالة.

والوصاية كانت الفلسفة السياسية لمرحلة معيَّنة من الثورة حيث كانت الحاجة لاستمرار الرسالة الاجتماعية للمؤسس الفكري والاجتماعي للحركة، وحيث كانت الإمامة قائمة على أساس ثوري وضرورة من أجل إتمام رسالة الثورة عبر أجيال، حتى تتمكن الجماعة من الوقوف على قدميها. عندها تكون

نهاية الإمامة ونهاية مرحلة الوصاية التي كانت مرحلة ثورية خاصة ومحددة. وعند انتهاء تلك المرحلة تبدأ مرحلة الشورى والبيعة والإجماع وهي الشكل الدائم واللامحدود لتنظيم وقيادة المجتمع. ويرى الشيعة الإمامية أن الأئمة أو أوصياء الرسول هم اثنا عشر شخصاً فقط ولو لم يتم نقض الوصاية ولو استلم الأئمة والأوصياء قيادة الجماعة بدلاً من الخلفاء والسلاطين. لكان مسير التاريخ شيئاً آخر. فلو أن قيادة الأمة انتقلت بعد الرسول مباشرة إلى الأوصياء علي والحسن والحسين وأولادهم بدلاً من الخلفاء والسلاطين من استقراطيي قريش ـ لكانوا قد بنوا أمة تستطيع اختيار أفضل قيادة عن طريق الشورى ولكانت مسيرة التاريخ تستمر في اتجاه تحقيق رسالة محمد. لأنه عندها تكون تعاليم الضلالة وتعاليم الجاهلية قد زالت من نفوس الناس بالهداية. والهداية تكون قد فعلت فعلها بنشر المحبة ورفض الظلم والجور وإقامة السلام والعدل والعدالة الاجتماعية بين جميع الناس.

وعندها يستطيع الناس أن يختاروا قيادتهم بالشورى والانتخاب ويحافظون معاً على المعمورة الفاضلة.



الخلاصة





قلنا إنه الله خلق الإنسان من تراب ونفخة من روحه وأعطاه الإرادة والعلم وجعله خليفة له على الأرض. ولكن هذه الإرادة والقدرة التي أعطيت له لم تكن مطلقة بل ملتزمة بمشيئة الله التي هي قيام نظام بشري وإرساء حياة إنسانية قائمة على أساس العدل والقسط بين الإنسان وأخيه الإنسان وبين الإنسان وسائر المخلوقات بما فيها الطبيعة. ولأجل إقامة هذا النظام أرسل الله الرسل والأنبياء مع الرسالات من أجل إقامة النظام الذي يحقق الخير والسعادة للمجتمع الإنساني. وليُبَلّغوا الناس بأن دنياهم دار ممرّ وأنه هناك بعث وثواب وعقاب وعالم آخر هو دار المقرّ. وإنه الإرادة التي وهبها الله معها التزام بالتقيد بالتعاليم الإلهية التي حملها الأنبياء.

ومن أوائل الأنبياء هو خليل الله إبراهيم الخليل الذي رفض عبادة الأصنام وبعد تفكير استعمل فيه عقله رأى «أن» الله هو القدرة التي خلقت هذا الكون وإن هذه القدرة الخالقة والمبدعة هي الله وهي واجبة الوجود.

وبعده أرسل الله نبياً رسولاً هو موسى بن عمران ومعه التوارة وفيها الوصايا العشر ومنها لا تعبدوا إلاّ الله ـ أكرم أباك وأمك ـ لا تقتل لا تزن ـ لا تسرف ـ لا تشهد بالزور عامل قريبك كنفسك. وغيرها والعديد من الوصايا الأخلاقية. ولكن التوراة التي أتى بها رسول الله موسى قد فُقدت وظهرت توراة أخرى يدَّعي من أظهرها أنها توراة موسى وناموس موسى وهي مناقضة للتوارة الحقيقية وخاصة للوصايا العشر وهي تشوه صورة الأنبياء بوصفهم بأنهم مجرمين ومرتكبي جرائم ضد الإنسانية وزناة وأولاد زنا ولصوص ومجرمين من آدم إلى نوح وإبراهيم ولوط ويعقوب وداوود وسليمان وحتى المسيح.

ثمَّ أرسل الله رسوله الكريم عيسى بن مريم ليمسح الضلال عن خراف بيت إسرائيل الضالة. فهو يقول إن أخاك الذي يجب أن تعامله كنفسك هو السامري أي الإنسان وليس الكاهن ولا اللاوي عندما لا يكونان إنسانان. وعندما قال له أحدهم «أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية فقال لماذا تدعوني صالحاً. ليس أحداً صالحاً. إلاّ واحد وهو الله. ثم قال إنه مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنيّ ملكوت الله. وقال أيضاً متى جلس ابن الإنسان على كرسيّ مجده تجلسون أنتم أيضاً على أثني عشر كرسياً تدينون اسباط إسرائيل الاثني عشر.

ويقول السيد المسيح في إنجيل لوقا: ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش حينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها.. لأنه هذه أيام انتقام ويكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب ويقعون في فم السيف ويستبون إلى جميع الأمم وتكون أورشليم مدوسة في الأمم. وفي الإصحاح السابع من إنجيل متى: ليس كل من يقول لي يارب يا رب يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات... فحينئذ أصرّح لهم إني لا أعرفك قط أذهبوا عني يا فاعلي الإثم. وفي إنجيل متى ـ الإصحاح العاشر: هؤلاء الإثناء عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا بل اذهبوا بالجريّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة.

وفي الإصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى يقول. . . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقيين وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء. أيها الحيَّات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنَّم. يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. هوذا بيتكم يترك لكم خراباً. وفي الإصحاح السادس عشر من إنجيل متى: ولما جاء تلاميذه إلى العنبر نسوا أن يأخذوا خبزاً. وقال لهم يسوع انظروا وتحرَّزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين. . . أحتى الآن لا تفهمون أني ليس عن الخبز قلت لكم أنه تتحرَّزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين حينئذ فهموا أنه لم يقل أن يتحرَّزوا من خمير الخبز بل من تعليم الفريسيين والصدوقيين.

ولكنه ومع الأسف لم يستطع حواريي السيد المسيح عيسى بن مريم أن يتحرّزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين. فاستطاع أحدهم المدعو شاوول بول المتعمق بالديانة اليهودية وبالثقافة اليونانية. إن يصبح القائد الفعلي لهذا الدين بعد غياب رسول الله عيسى بن مريم الناصري. ـ أمَّا شاوول فكان لا يزال ينفث تهدّداً وقتلاً على تلاميذ الرب. فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد إناساً من الطريق رجالاً أو نساءً بسوقهم موثقين إلى أورشليم. ارتأى وهو العارف بالفلسفة اليونانية. أنه يصل إلى الهدف الذي ينوي الوصول إليه باستعمال نظريتيّ العصبية والتسلط فيستولي على هذا الدين الجديد وينقضه وينقل التبشير به من بيت إسرائيل إلى الأمم فيبقي على الضلالة في بيت إسرائيل ويجعل معتنقي هذا الدين من الأمم عبيداً لأهل عصبيته.

يقول شاوول في رسالته لأهل رومية: ولكن الآن أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسسن الذين في أورشليم. استحسنوا ذلك وأنهم لهم مديونون لأنه إن كان

الأمم قد اشتركوا في روحياتهم يجب عليهم أن يخدموهم في الجسديات أيضاً. . لكي تكون خدمتي لأجل أورشليم مقبولة عند القديسيين. . .

ولأجل كسب السلاطين والحكام إلى هذا الدين لكي يوصلوه إلى هدفه يقول: لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلاَّ من الله والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله. حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقامون سيأخذون لأنفسهم دينونة.

في الإصحاح الثالث غلاطية: المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من عُلّق على خشبة. . وفي الإصحاح الثالث فيليب: فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء. ومن رسالته إلى أهل فيليبي الإصحاح الثالث: لأننا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح. . إن ظن أحد آخر أن يتكل على الجسد فأنا بالأولى، من جهة الختان مختون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل من سبط بنيامين عبراني من العبرانيين. من جهة الناموس فريسي من جهة الغيرة مضطهدة الكنسية. ومن جهة البرِّ الذي في الناموس بلا لوم. وفي رسالة بولس إلى أهل رومية الإصحاح التاسع يقول: فإني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجد الذين هم إسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والموعد ولهم الآباء.

ومن تعاليم الفريسيين التي لم يحترز منها تلاميد السيد المسيح هي تعاليم فريسي آخر هو يوحنا اللاهوتي صاحب سفر الرؤيا إذ يقول في الإصحاح السابع: رأيت ملاكاً آخر طالعاً من مشرق الشمس معه ختم الله الحيّ فنادى بصوت عظيم إلى الملائكة الأربعة الذين أعطوا أن يضروا الأرض والبحر قائلاً لا تضروا الأرض ولا البحر ولا الأشجار حتى نختم عبيد إلهنا على جباههم

وسمعت عدد المختومين مئة وأربعة وأربعين ألفاً مختومين من كل سبط من بني إسرائيل.

وفي الإصحاح العشرين من سفر الرويا: ثم متى تمت الألف السنة يُحل الشيطان من سجنه ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة نزلت نار من عند الله من السماء واكلتهم. وإبليس الذي كان يضلهم طُرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذاب.. وفي الإصحاح الحادي والعشرين: وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم. وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً هو ذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم. ثم جاء إليَّ واحد من السبعة الملائكة وتكلم معي قائلاً هلمَّ فأريك العروس امرأة الخروف وأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدّسة وكان لها سور عظيم وعال وكان لها اثنا عشر باباً وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكاً وأسماء مكتوبة هي أسباط بني إسرائيل الإثنا عشر.

فلننظر كيف استطاع الفريسيون إن ينقضوا المسيحية ويحرِّفوها. عن هدفها الإنساني. قانا جبل السيد المسيح عيسى بن مريم الناصري تقول: إن المسيح وتلامذته الاثناء عشر سيدينون أسباط إسرائيل الاثنا عشر والفريسيون الذي نقضوا المسيحية باسم المسيحية يقولون إن الله سينزل ناراً من السماء لتأكل الأمم ولا يبقي إلا على إسباط إسرائيل وينزل إلى مدينتهم ليعيش بينهم. الأناجيل تقول سيكون هناك سخط على هذا الشعب ويقعون في فم السيف ويُسبون إلى جميع الأمم وتكون أورشليم مدوسة من الأمم. إن الأناجيل تقول إن قريبك الذي يجب أن تعامله كنفسك هو السامري أي الإنسان وليس الكاهن أو اللاوي عندما لا يكونان إنسانان وشاوول يقول إن الأمم يجب أن يعطوا جسدياتهم لأهل الختان وهم لهم مديونون لأنهم شاركوهم بالروحانيات.

الدعوة الإسلامية

صاحب الدعوة الإسلامية هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وكانت لجده عبد المطلب السقاية والرفادة من مناصب الكعبة وكان له مقام رفيع في قريش. ولما بلغ صاحب الدعوة الأربعين من العمر مال إلى الخلوة والاعتزال عن الناس وكان معتزلاً بنفسه في غار حراء فنزل عليه الوحي وقرأ عليه أول سورة من القرآن ودعاه أن يرددها وراءه فرددها وخرج إلى وسط الجبل فسمع صوتاً من السماء يناديه: «يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل» فعمد إلى بث دعوته سراً بين أقرب الناس إليه فاجتمع حوله نفر قليلون في جملتهم ابن عمه علي بن أبي طالب وكان لا يزال غلاماً وأبو بكر الصديق وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهم فهمَّ بدعوة الناس جهاراً وبدأ بعشيرته الأقربين. ولكنَّهم استخفوا به فجاهر بسبِّ الأصنام ونسب أهله وآباءهم إلى الكفر والضلال. فأجمعوا على عداوته ومقاومته وتعمدوا أذاه.

وكانت دعوته تنتشر على مهل وقد اسلم جماعة من خيرة الناس كان لهم شأن عظيم فيهم أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وحمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطّاب وأما أقاربه الآخرين فلما يئسوا من وساطة عمه أبي طالب رأوا أن يحتالوا في استرضائه بالحسنى فقالوا له إن كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعناً لك من أموالنا وأن كنت تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا وأن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا. فقال لهم ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليَّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً إلخ... فلما لم يروا سبيلاً إليه جعلوا يعذبون الذين اسلموا وصدّقوا دعوته والمسلمون صابرون على ذلك العذاب. لأن ارستقراطيوا قريش قد ناصبوه العداء وساموه أنواع العذاب وأهانوه حتى نقموا على بني هاشم لأنهم أهله. فاضطر بنو هاشم أن ينفروا إلى الجبال حيث أقاموا بالشعب ثلاث سنين. ولما بايعه نفر من أهل يثرب كانوا وسيلة لنشر الإسلام في تلك المدينة في برهة

قصيرة فدعوه إليهم على أن ينصروه. وتحوّلوا إلى محاربة أهل مكة وسادة قريش الذين أرغموهم على ترك ديارهم. وانتصر المسلمون على قريش وفتحوا مكة واخضعوا جزيرة العرب كلها.

وكان النبي في أثناء حياته أمير المسلمين وقائدهم في الحرب وأمامهم في الصلاة وقاضيهم في سائر الأحوال.

وبعد وفاته وبعد جدل بايع المسلمون بالخلافة أبا بكر الصديق وكانت دولة الخلفاء الراشدين تأسست على التقوى وشيدت بالعدل وكان خلفاؤها في أبسط أحوال العيش وكانوا يحكمون الناس بالتقوى والعدل والقدوة الحسنة. ولم يكونوا يعباون بالمال وكان ذلك شأن سائر الصحابة في أيامهم ولكن في أواخر عهد الراشدين وخاصة في منتصف عهد عثمان تغيَّر الأمر. وبعد وفاة أبو بكر الصديق وكان قد أوصى بالخلافة لعمر بن الخطاب وفي عهده فُتحت بلاد الشام والعراق ومصر وفارس وأرمينا وفتحت برقة وقُتل عمر أمير المؤمنين سنة ٢٣هـ وخلفه عثمان بن عفان. ومن أهم الأسباب التي ساعدت المسلمين على الفتح كان عدل المسلمين ورفقهم وزهدهم والشعوب التي كانت تحت حكم القياصرة والأكاسرة كانت تعاني من الظلم والجور فكانوا يتطلعون إلى عدل المسلمين ورفقهم وزهدهم فكانوا عوناً للمسلمين على حكامهم.

فعصر الخلفاء الراشدين هو عصر الإسلام الذهبي. عصر العدل والتقوى كانت الحكومة جارية فيه على سُنن العدل والاستقامة والغيرة الحقيقية على الدين ونبذ الدنيا. ولكن الحكومة بعدهم انتقلت إلى طور جديد وانقلبت من الخلافة الدينية إلى الملك السياسي ونشأت في الخلفاء والعمال المطامع وأخذوا في حشد الأموال بأية وسيلة كانت. وبدأت الدولة الأموية حكمها بالعصبيّة القرشية ثم بالعصبية العربية وأصحبت الخلافة في عهدها سلطنة دنيوية يحكمها خليفتها بالدهاء والسياسة ويستبد في الناس بالإرهاب ويؤيد سلطانه ببذل الأموال. وعمل الأمويون على إثارة قلوب العرب ضد غيرهم من الأقوام فصار الأعاجم الذين دخلوا الإسلام محتقرين في نظر العرب على عهد بني أمية.

وأخذ العرب عليهم أسماء مستهجنة كانوا يسمّونهم «النبيط والعلوج والحمراء والموالي» وانتشر بينهم المثل القائل «لا يقطع الصلاة إلاّ ثلاثة: حمار وكلب وموّلي» وبلغ من احتقار العرب للموالي أنهم كانوا لا يستطيعون أن يركب المولى دابة بحضورهم. وبهذا دخل الدين الإسلامي في طور جديد هو طور الغرور القومي والفتح والاستعمار.

وطيلة فترة قيام دولة بني أمية كانت الثورات متتابعة باسم الثأر لقتل الحسين. فلما ظهر ضعف بني أمية، وُفق العباسيون يومئذ إلى رجل فارسي اسمه أبو مسلم الخراساني فحارب وجاهد حتى أدنى الخلافة من بني العباس وسلمها إلى أبي العباس السفاح أول خلفائهم سنة ١٣٢هـ وفي القسم الأول من الدولة العباسية بلغت الدولة أوج مجدها وزهت بها العلوم والمعارف وأطلقت حرية الفكر العلمي والفلسفي والفقهي لأن باب الاجتهاد كان مفتوحاً وبعد وفاة الخليفة المأمون وانتقال الخلافة إلى المعتصم الذي اعتمد على الجنود المرتزقة الذين كانوا يسمونهم المماليك فتولوا أعلى المناصب في الدولة فأصبحت مقاليد السلطة بأيديهم فآل ذلك إلى ضعف الخلفاء واستبداد الولاة في الولايات واستقلالهم. وبدأت الدولة بالانحدار الحضاري منذ عهد المعصتم لأنه أقفل باب الاجتهاد وحصر التقليد بأربعة مذاهب التي تتوافق مع مصلحة السلاطين. ومما زاد الأمر استفحالاً إن الخدم والأجناد أصبحوا مطلقي الأيدي في قصور الخلفاء يسومون الخلفاء أصناف الإهانة وأنواع العذاب. وفي أيامهم أصبح لفظ العربي مرادفاً لأحقر الأوصاف عندهم. ومن أقوالهم «العربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة خبز واضرب رأسه، وقولهم «لا يفلح أحد من العرب إلاّ أن يكون معه نبي ينصره الله به». وبقيت الخلافة العباسية مع ما لحق بها من الذل والضعف في بغداد حتى جاءها التتر من الصين فافتتحوها وقتلوا خليفتها سنة ٦٥٦هـ. وانتقلت البلاد إلى حكم السلاطين المغول ـ هولاكو جنكيزخان وتيمورلنك ـ.

لقد رأينا كيف أن دولة الرسول والخلفاء الراشدين تأسست على التقوى

وشيدت بالعدل وكان الخلفاء يحكمون الناس بالتقوى والعدل والمساواة والقدوة الحسنة. وأما الدولتين الأموية والعباسية فكانت تحكم الناس بالظلم والجور والتسلط والعصبية العائلية والقومية ورأينا أن العصبية لا بد أن يكون لها ردّة فعل عصبية أخرى فاحتقار العرب للموالي في الدولة الأموية قابله احتقار الموالي عندما تمكنوا من السلطة للعرب. أثناء القسم الثاني من الدولة العباسية. والعصبية المذهبية أثناء الدولة الأموية ـ قابلتها عصبية مذهبية مبالغ فيها أثناء الدولتين الفاطمية والصفوية.

عند دراستنا للأديان السماوية ولتاريخها نجد أن الله فعلاً أوجد الإنسان ببعدين ودينه كذلك ذو بعدين بُعدٌ يدعوه للنشاط والتأثير في الحياة العلمية والدنوية والبعد الآخر يدعوه للسمو الروحي والخلقي لكي يبقى محافظاً على توازنه وإتزانه. فلكي يكون حاملاً لتلك المسؤوليات الجسام يحتاج إلى دين يحفظ توازنه، دين لا يقوده إلى الآخره المطلقة ولا إلى الدنيا المطلقة. فالمحافظة على إتزان سلوكه هي شرط ضروري لكي يؤدي رسالته ويواجه المسؤوليات الملقاة على عاتقه.

عندما علَّم الله الأسماء كلها لآدم فالملائكة خرّوا له ساجدين والذي هو من طين رغم أن عنصرهم من نور فالفضل إذن عند الله وعند الملائكة وهو للعلم والمعرفة. ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ «وهل يستوي من آمن قبل الفتح ومن أسلم مرغماً بعده» ولكي يستمر الإنسان بحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه أرسل له الأنبياء والرسل لكيْ يزداد علماً ويحافظ على توازنه بين الروح والمادة ففي الإنسان عاملان يتجاذبانه التنين أو الشيطان يجذبه إلى الطين وإلى الضلال ويقنعه بأن سعادته في قهر الآخرين واستعبادهم والروح التي هي من الله تسمو به إلى السماء وتقنعه إن سعادته هي من سعادة أخيه الإنسان وأن التعاون الإنساني ضمن المعمورة بأسرها والعيش معاً بمحبة وتعاون وسلام فإذا تعاونت الأمم كلها ضمن المعمورة لتكوين المعمورة الفاضلة. فعندها تصل الإنسانية إلى بلوغ السعادة الحقيقية. ولكن الحفاظ على هذه المعمورة الفاضلة لا يمكن أن يثبت

بالاعتماد على الطين فقط. بل بالإيمان بالله وبرسالات أنبيائه وخاصة الرسالة التي أتى بها كلاً من السيد المسيح عيسى بن مريم الناصري ورسول الله الأكرم محمد بن عبد الله ولكن لماذا نُقِضَت هاتين الرسالتين بعد وقت قصير من تبليغهما. من خمير الغريبيين ومن خمير الجاهلية. لأن خمير الضلالة الذي يحمله التنين يبقى حياً لأكثر من جيل ولا يزول مفعوله إلاَّ بعد عدَّة أجيال من الهداية المتواصلة من قيادة أو إمامة هادية تحمل وهج النبوَّة باستمرار وعندما يزول خمير الضلالة عندها يقتنع الناس بأن سعادتهم تكون بتعاون الأمم ضمن المعمورة وبالتوازن بين الغنى والفقر وبين الإنسان وسائرالمخلوقات وبين معاملة الإنسان لأخيه الإنسان كمعاملته لنفسه. وبالتوازن بين الروح والمادَّة.

وعند إزالة خمير الضلالة يستطيع الناس أن يختاروا من بينهم القيادات الهادية باستمرار.

قيل إن الرسول الأكرم لاحظ مرَّة وجود شخص شبه دائم في المسجد فسأل عن حاله فقيل له إنَّه فرَّغ نفسه للتعَّبد لله في المسجد فقال الرسول وكيف يعيش فقالوا إنّ له أخ يعمل ويأتي له بالطعام والشراب كل يوم فقال لهم إن هذا الأخ الذي يعمل يستحق الجنة أما هذا فلا.

ويقول السيد المسيح إن من يرث الملكوت هو من يطعم الجائع ويسقي العطشان ويكسي العريان ويأوي الغريب ويزور المريض والمحبوس ومن لم يفعل ذلك فمصيره إلى النار الأبدية لإبليس وملائكته.

ويقول الرسول كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فعندما يؤمن الإنسان بهذا الحديث لا بُدَّ أن يصبح عنده شعوره بالمسؤولية عن تأمين المرعى الخصب للقطيع مع العصا الغليظة كي يطرد بها الذئاب التي تنهش من لحم القطيع. ونستطيع أن نحقق ذلك بفضول أموال الأغنياء التي تستعملها بتأمين العمل المناسب لكل من في القطيع وبالجهاد في سبيل الله الذي هو جهاد في سبيل الإنسانية من أجل خير الإنسان الذي هو خليفة الله في الأرض. وعندها نكون أحبّاء الله كما قال الرسول «**الناس كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله**».

إن من يحمل سِمة التنين هو الذي يجذبه التنين إلى بُعد الوحل المتعفّن ويُضله بجعله يتبنى نظرية التسلط والعصبية التي تؤدي إلى الصراع مع الآخرين وإلى نزع السلام من الأرض وإلى إلحاق الضرر بنفسه وبالآخرين وإلى خيانة الأمانة التي حمّلها له الله.

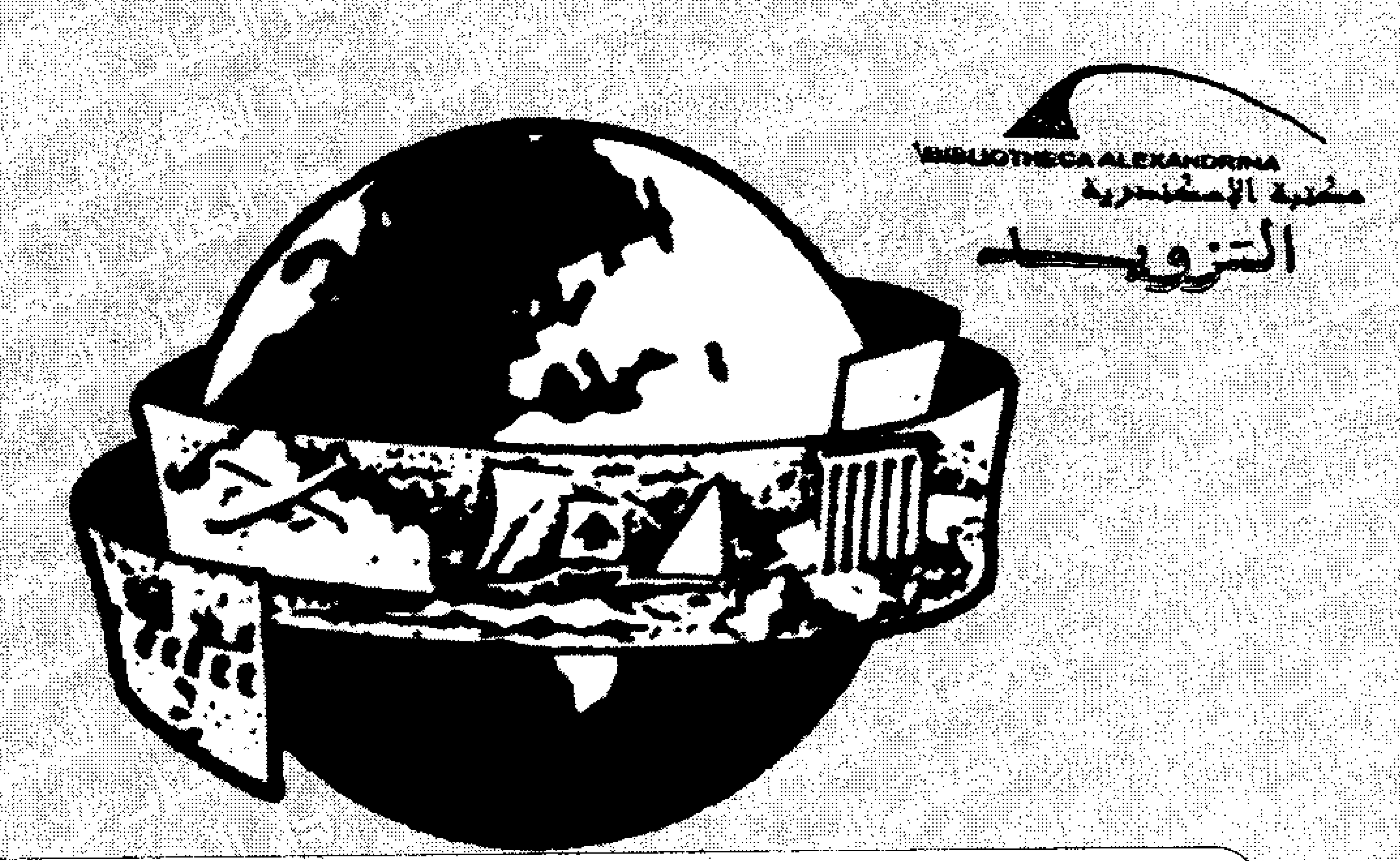
بينما الذين يُؤمنون بالله وبمشيئته بحمل الأمانة الإلهية وبالشعور بالمسؤولية عن الحفاظ على كوكبنا وعلى من هذا الكوكب، هم عيال الله وأحباؤه الذين يرفعهم بُعد روح الله إلى السمو الروحي والخلقي والعقلي ويكونون هم عيال الله وأحباؤه. لا فئة تنتمي إلى سلالة من الناس يدينها عين المسيح وتلامذته يوم الدنيونة.

فرسالات الله التي تبلغها كل من رسول الله عيسى بن مريم والرسول الخاتم محمد بن عبد الله وكما فهمها الإمام علي والأئمة الأحد عشر من أبنائة لولا خمير الفريسيين وخمير الجاهلية الذي عمل على نقضها لاستطاعت أن تقيم النظام البشري وأن ترسي الحياة الإنسانية التي ارادها الله لخليفته على الأرض. والتي بها يستطيع الإنسان بلوغ السعادة المطلقة والهناء والرخاء.

ولكن الخمير الذي حذر منه المسيح عيسى بن مريم يفعل فعله فكمية صغيرة من الخمير تحوّل كمية كبيرة من عجين الخبز بحرارة متوسطة وبعد ساعات إلى خمير. كذلك تعاليم الضلالة لا يزول مفعولها بجيل واحد بل بعدَّة أجيال من الإيمان والهداية المتواصلة وبفهم صحيح لجوهر الدين.

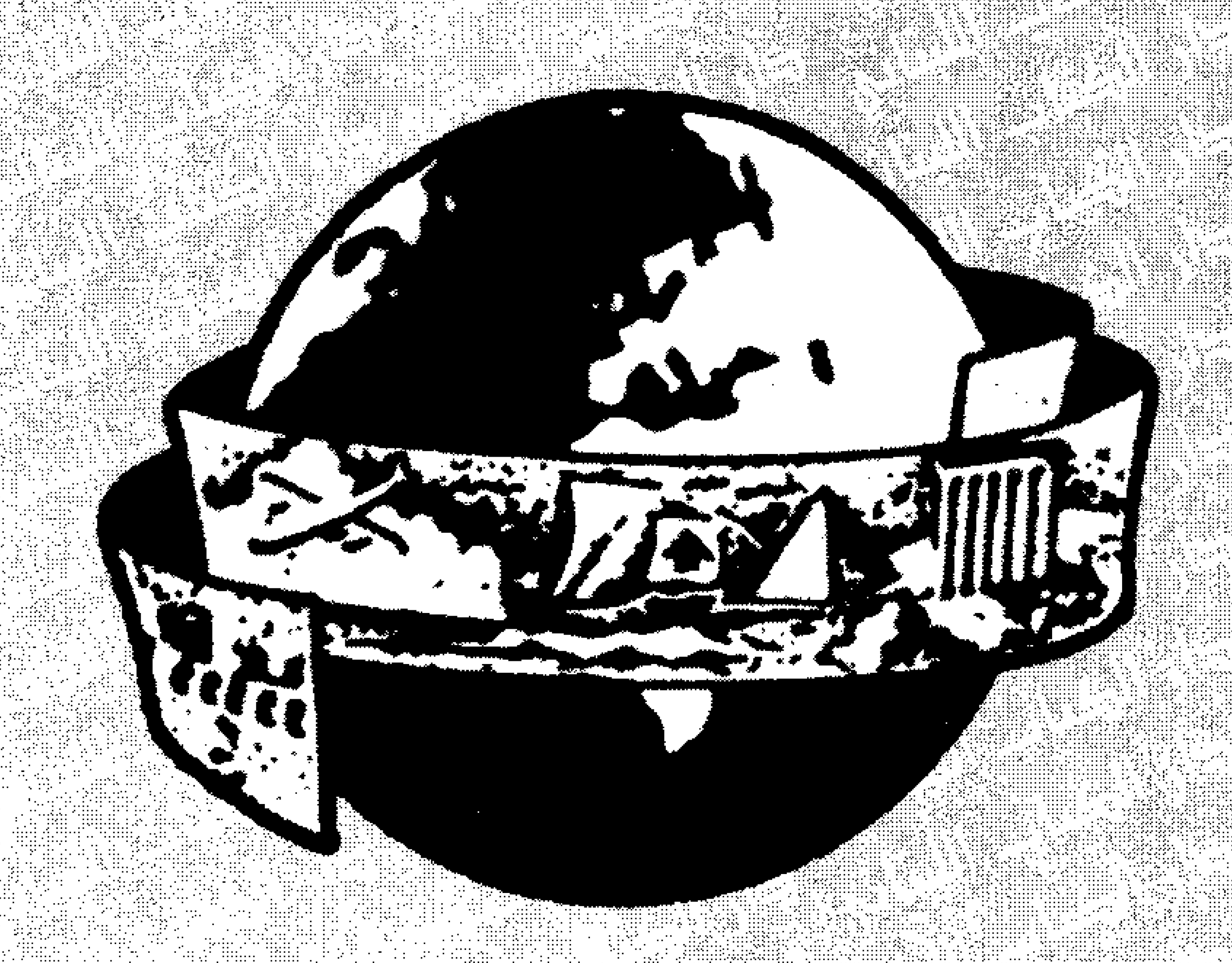
ولكن عندما يوصلنا الدين إلى بلوغ السعادة المطلقة في الدنيا والآخرة سوف لن يوجد من يقول الدين أفيون الشعوب. وعندما تستولي الضلالة بواسطة الخمير على هذا الدين وتنقضه فسنجد الأكثرية الساحقة من الناس يبتعدون عنه.


الفهرس



دار الكتاب المصري
القـاهـرة

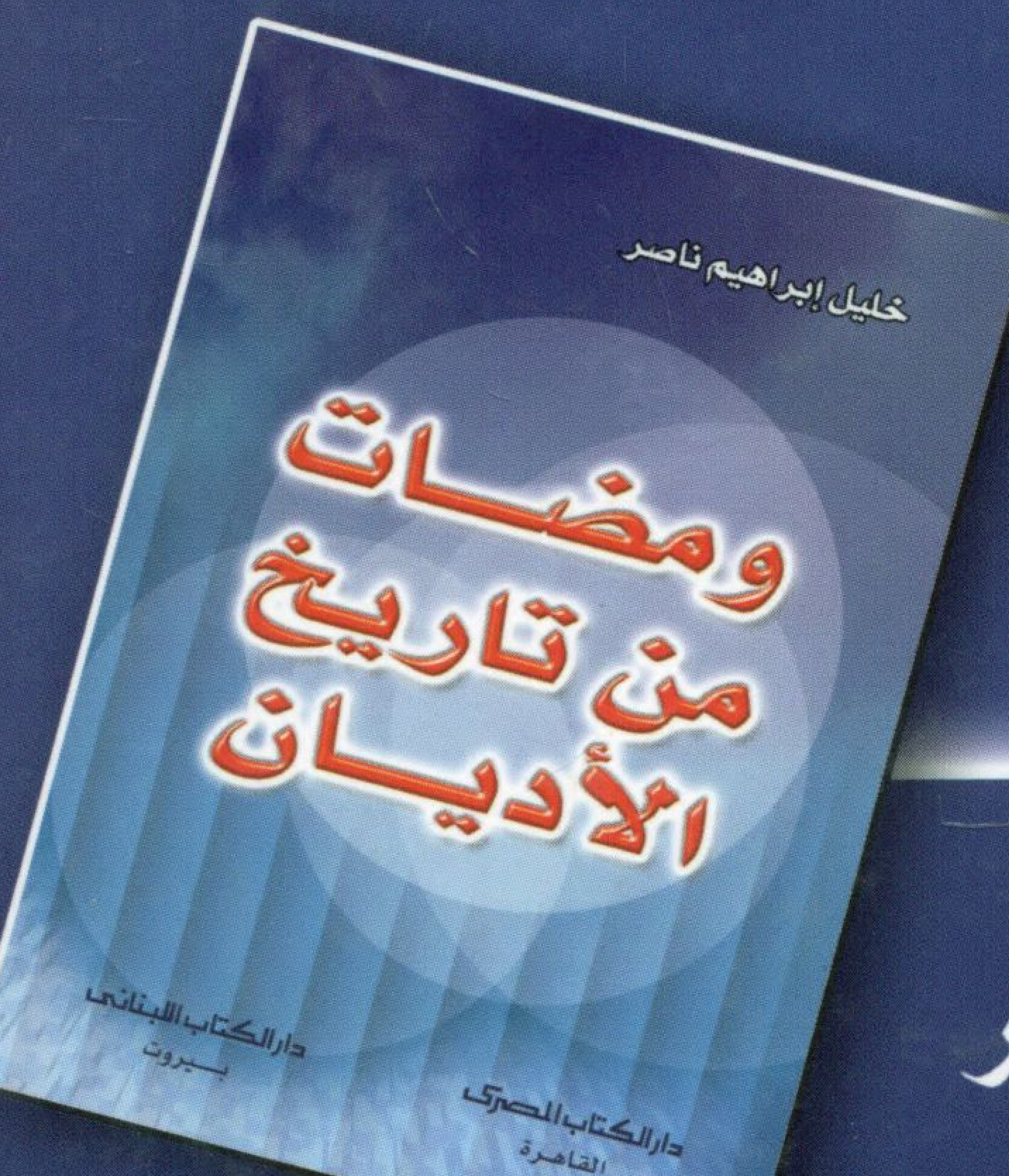
٣٣ شارع قصر النيل ـ تلفون: ٢٣٩٢٢١٦٨/٢٣٩٣٤٣٠١/٢٣٩٢٤٦١٤ (٢٠٢+)
ص.ب.: ١٥٦ ـ عتبه ـ الرمز البريدي: ١١٥١١ القاهرة ـ ج.م.ع.
فاكسميلي: ٢٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢+)
FAX: (+202) 23924657 - ATT.: MR. HASSAN EL-ZEIN القاهرة



دار الكتاب اللبناني

بـــيروت

شــارع مــدام كــوري ـ مقــابـل فنـدق البريســتول ـ بيروت
تلفون:٧٣٥٧٣٢ (٩٦١١+) ـ ص.ب.: ١١/٨٣٣٠
بيروت ـ لبـنان ـ فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١+)
FAX: (+9611) 351433-ATT.: MR. HASSAN EL-ZEIN بيروت



خليل ابراهيم ناصر

ولد في سيراليون عام ١٩٣٦ وتلقى علومه التكميلية والثانوية في الكلية الجعفرية - صور.

وعاد إلى سيراليون عام ١٩٥٥وفي أواخر السبعينات من القرن الماضي انتخب رئيساً للجاليات الإسلامية في محافظة الكونغو - سيراليون وكان فيها جاليات كبيرة من مختلف دول وقبائل غرب إفريقيا وكان عضواً في مجالس خمس مدارس ثانوية هناك ثم انتخب رئيساً للجالية اللبنانية هناك وفي عام ١٩٨٥ وبعد أحداث سيراليون غادر إلى بلجيكا واستقر هناك.